الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

افتتاحية

كيف السبيل لإنقاذ الديمقراطية ؟

بقلم : مسعود الرمضاني

العدد 424 - من الثلاثاء 24 إلى الاثنين 30 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

جلسة مصيرية لمهندسي مبادرة تنقيح القانون الانتخابي

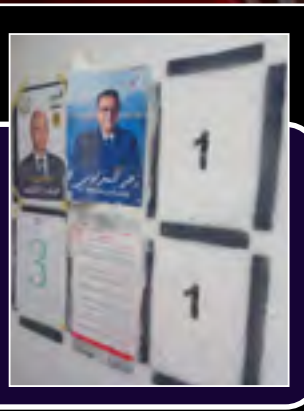

1... 2... 3... يوميات مأتم انتخابي

بقلم : صالح مصباح

عامر بحبة الباحث في المخاطر الطبيعية لـ «الشارع المغاربي» :

الفيضانات والجفاف أبرز المخاطر المتربّصة ببلادنا

الأزمة والثقافة والتاريخ

بقلم : لطفي عيسى

من أدوات التخريب المُمنهج للمدرسة العموميّة

بقلم : أنس الشابي

كيف السبيل لإنقاذ الديمقراطية ؟

بقلم : مسعود الرمضاني

سنة 2018، أصدر أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، ياشا موانك Yascha Mounk، كتابا بعنوان «الشعب في مواجهة الديمقراطية، لماذا حريتنا في خطر وكيف السبيل لإنقاذها؟» طرح فيه ازمة الديمقراطية الليبرالية، معتبرا ان صعود الشعبوية اليوم ليس صدفة ولا هو بالحدث العارض، أيضا وإنما هو بمثابة اعراض ازمة نظام سياسي في طريقه للتفكك وربما التلاشي، ان لم يتم التفطن لأمراضه والتسريع بعلاجه.

ورغم ان «موانك» يؤيد اقتصاد السوق فإنه يعتبر ان العقود الاخيرة عرفت ركودا لم يساعد في تحقيق ما يصبو إليه المواطنون الغربيون من رفاه. فخلال القرن العشرين، عرفت البلدان الرأسمالية نموا رافقه تخفيف لحدة اللامساواة وتعميم للرفاه، ويأخذ «مونك» مثال الولايات المتحدة حيث ارتفع مستوى المعيشة أربع مرات بين 1935 و1985، وكذا بالنسبة لبلدان صناعية اخرى مثل بريطانيا وحتى ايطاليا، كل ذلك ساهم في التمسك بالديمقراطية والاعتقاد في مزاياها...

الإحباط، تربة الشعبوية الخصبة

ولكن منذ أواسط الثمانينات من القرن الماضي، سجلت تلك البلدان تباطؤا في النمو وتفاقمت الفوارق الاجتماعية «ولم تعد الدول الغربية قادرة على اعطاء مواطنيها الانطباع بأن العمل هو الضامن لتحسين مستوى العيش مثلما كان الامر بالنسبة للاجيال السابقة « مما اثار مشاعر الاحباط وعدم الاطمئنان والخوف، وهذه كلها تربة خصبة للشعبوية، والنتيجة ان الديمقراطية لم تعد مقنعة ، اذ يرى مواطن من أربعة في الولايات المتحدة الامريكية، ان النظام الديمقراطي هو نظام سياسي سيئ ويعتقد اغلب المواطنين ان الأهم هو الاستقرار مهما كان الثمن ، حتى على حساب الحرية السياسية ، والادهى ان مواطنا من ستة مواطنين يرى ان النظام العسكري هو طريقة جيّدة للحكم ،

ولا يقتصر الاستعداد للتضحية بالديمقراطية الليبرالية على الولايات المتحدة الامريكية، اذ نشرت صحيفة غرب فرنسا Ouest France، في اكتوبر 2018، استطلاعا قامت به مؤسسة «ايفوب» يظهر ان 41 بالمائة من الفرنسيين على استعداد للقبول بنظام شمولي ان كان قادرا على القيام بعملية إصلاح شاملة.

استعادة دور الدولة

والحل الذي يراه «موانك» لاستعادة الديمقراطية هو اعادة الاعتبار لدور الدولة الاجتماعي والتنمية الاقتصادية المتوازنة، وإنشاء نظام ضريبي يخفف من الامتيازات التي تتمتع بها الشركات متعددة الجنسيات ويكفل حقوق الشركات المحلية الصغرى، كما يطرح الحوار –الغائب احيانا- بين مختلف المؤسسات والاحزاب بما فيها الاحزاب الراديكالية والنقابات والمنظمات، وذلك لقطع الطريق امام نظرية المؤامرة ومواجهة المعلومات الكاذبة والإشاعات التي يروجها القادة الشعبيون سواء في خطبهم أو عبر صفحات التواصل الاجتماعي،

وهذا ، أيضا، رأي جوزيف ستيغلتز (Joseph Stiglitz) ، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد وكبير الخبراء الاقتصاديين في جامعة روزفلت ، الذي قال ان الرأسمالية في حاجة الى التغيير كي تنتصر على الشعبوية «فالدرس واضح لمن يريد ان يتعلم : في غياب دولة لها حد ادنى من الرعاية ومستوى جيّد من الحماية الاجتماعية وضمان التشغيل ، فان سياسيين مثل ترامب سيجدون دائما فرصة لاختراق المشهد السياسي والبقاء لمدة طويلة في الحكم.» .

والشعبوية العربية؟

ويحصر «مونك» الشعبوية ومخاطرها في البلدان الغربية التي عرفت عبر تاريخها الحديث والمعاصر ديمقراطية ليبرالية، حققت الحرية والرفاه معا، لكنها تعرف ازمة كبيرة لأنها استنزفت جل مقوماتها حتى اصبحت مهددة بالاستبداد الشعبوي، فماذا عن الدول العربية، التي عرفت انتفاضات غضب بين 2011 و2016، لا تقودها احزاب سياسية ولا منظمات مدنية، انتفاضات رفعت شعارات عامة عن الحرية والديمقراطية والعدالة ، وهي أقرب الى الحركات الاجتماعية منها الى الثورات ، انطلقت في اغلبها احتجاجا على انظمة مستبدة وفاسدة. بعبارة أخرى، حركات احتجاجية انطلقت من تعطّش للديمقراطية ، لا من غضب على ازمتها ، اذ رأت فيها سبيلا للنجاة والخلاص لا فقط من استبداد الانظمة وفسادها، بل حبل نجاة سيحقق إضافة للحرية، مطلب الشغل والحياة الكريمة.

وتونس، التي كانت رائدة في انتفاضتها، انفردت بأن حققت انتقالا سلسا وتعددية سياسية وانتخابات حرة ودستورا توافقيا بفضل وجود نخبة سياسية ومدنية ونقابية أطرت موجة الغضب الشعبي، خاصة في المناطق الداخلية، الا ان صبر الشعب، وخاصة منه الشباب، نفد أمام تدهور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وغياب الحوكمة والصراعات السياسوية الهامشية، فجاء السيد قيس سعيد كرد فعل على الإحباط واليأس، وهكذا انتقلت تونس من تجربة انتقال ديمقراطي منقوص الى شعبوية الحكم الفردي...

ويظل المشكل ان الآمال التي علقت على قيس سعيد لم تتحقق، فلم يتمكن حكمه الفردي خلال الثلاث سنوات الاخيرة من انجاز النمو الاقتصادي المنشود ولا تحقيق الشغل للشباب الذي ساند اجراءاته. فقد احتدت الازمة الاقتصادية نتيجة اختيارات اقتصادية لا تشجع على التنمية والاستثمار، وهي أزمة فاقمتها، كذلك، خطابات سيادوية وتعقيدات إدارية وخوف وارتباك من قبل رجال الاعمال والمستثمرين، مما اضاف الى الأزمة الهيكلية في اقتصاد البلاد ازمة اعمق تتمثل في غياب الحرية وانكماش المبادرة والخوف من الحاضر والخشية من المستقبل...

يقول دانيال كوهين، المفكر الاقتصادي، ان للطفرة الشعبوية ثلاثة اركان: نظم سياسية فشلت في تقديم سياسات اقتصادية قادرة على حماية الطبقات المفقرة وقوى اقتصادية يحكمها فقط قانون الربح غير العادل وحاضنة اجتماعية لها نهم كبير لاستهلاك فاكهة الشعبويين. ولكن العديد من المفكرين والخبراء يُجمعون على ان الشعبوية هي حالة عابرة وحدث طارئ يمكن تجاوزه بحلول ممكنة إذا توفرت الإرادة السياسية.

حالة عابرة؟

يمكن ان تكون الطفرة الشعبوية حالة عابرة وحادثا في طريق المنجز الديمقراطي. وقد تفشل سريعا في تقديم البدائل لحل الازمات، على رأي ناديا اوربيناتي التي قالت انها –اي الشعبوية «عاجزة عن ايجاد الحلول للمشاكل السياسية والاجتماعية التي طرحت نفسها لحلها حين واجهت الاحزاب والايديولوجيات» ولكن إضافة الى الوعي بمخاطرها ، يجب ان توجد الحلول المناسبة لازمة الديمقراطية الليبرالية اليوم، أي ان يحسم ذلك التناقض الخطير ، بين الديمقراطية كقيمة إنسانية وبين ذلك التفاوت الرهيب في مستوى المعيشة ومظاهر التهميش والاقصاء التي اوجدتها العولمة النيوليبرالية اليوم، كما اثبتت التجربة التونسية ان الشعب لا يرتاح للديمقراطية الا اذا صاحبها اصلاح اقتصادي واجتماعي عميق، عجزت، الى حد اليوم، الأحزاب عن تقديمه أو حتى الاصداح به ...

غير ذلك سيطول عمر الشعبوية.

جلسة مصيرية لمهندسي مبادرة تنقيح القانون الانتخابي

كوثر زنطور

تتتالى الاحداث بسرعة في واحدة من اكثر المحطات الانتخابية اثارة للجدل على الاطلاق. والحدث المفصلي حدد تاريخه مكتب مجلس نواب الشعب في اجتماعه المنعقد يوم امس الاثنين برئاسة ابراهيم بودربالة والموعد يوم الجمعة في جلسة عامة ستخصص للمصادقة على تنقيح القانون الانتخابي قبل 10 ايام فقط من تاريخ الانتخابات الرئاسية .

بودربالة في اجتماع مكتب المجلس يوم احالة المبادرة الى لجنة التشريع العام

بينما كانت لجنة التشريع العام تناقش المبادرة المقترحة من قبل 34 نائبا من المنتمين الى كتل مختلفة ،لتنقيح القانون الانتخابي ، اجتمع مكتب المجلس واصدر بيانه الذي اقر دورة استثنائية وجلسة عامة للنظر في هذه المبادرة التي قلبت البرلمان رأسا على عقب .

وستكون جلسة يوم الجمعة جلسة بلا شك مصيرية لاصحاب المبادرة ومهندسيها خاصة وبالتحديد. فلا يبدو ان تحصيل اكثر من 81 صوتا لتمرير مشروع التنقيح عملية محسومة وبلا مخاطر في مجلس فاجأ في اكثر من مناسبة السلطة السياسية وكان يصنف من قبل الدوائر الفاعلة داخل منظومة الحكم بالخارج عن السيطرة .

السيناريوهات المطروحة

تقوم فكرة المبادرة على تحصين المسار الانتخابي من نزاع اكثر من مؤكد على شرعية النتائج بعد اصدار المحكمة الادارية احكاما بقبول الطعون المقدمة من ثلاثة مترشحين كانت هيئة الانتخابات قد رفضت ملفاتهم وهم عبد اللطيف المكي والمنذر الزنايدي وعماد الدائمي ورفض الهيئة اعادتهم ضمن قائمة المترشحين.

وتلغي المبادرة دور المحكمة الادارية في النزاع الانتخابي وتحيله الى القضاء العدلي . كما تلغي رقابة محكمة المحاسبات . وحصرت عملية الطعون في المترشحين الثلاثة المقبولين من قبل الهيئة لا غير وهم العياشي زمال وزهير المغزاوي وقيس سعيد . وانطلقت منذ احالة هذه المبادرة مرفوقة بطلب استعجال النظر خلال فترة العطلة البرلمانية حملات تنديد ودعوات لسحب مشروع التنقيح.

لم تغير هذه الحملات في الامر شيئا بل وقع تجاهلها من البرلمان الذي تجاوز كل القواعد الاجرائية والاخلاقية والقانونية ، وسخر بالكامل لتمرير المبادرة لصاحبتها النائبة نسرين المرابط ، احدى الناشطين السابقين في الحملة التفسيرية ، مثلما يسمونها ، للمرشح قيس سعيد في انتخابات 2019 ومرابط هي ايضا نفس النائبة التي كانت قد اكدت استحالة تنقيح القانون الانتخابي خلال السنة الانتخابية.

ورافقت اشغال جلسة لجنة التشريع العام المنعقدة يوم امس ، اجواء مشحونة بسبب تباين في المواقف بخصوص المبادرة ، حول توقيتها من جهة ومهندسيها من وراء الستار من جهة اخرى وايضا بسبب اتهامات خطيرة وجهها نواب من مساندي المبادرة الى قضاة المحكمة الادارية .

طبعا الاحتقان والاجواء المشحونة هي سمة كل الاجتماعات عندما تكون الرهانات مصيرية ومحددة كحال جلسة يوم امس والجلسات المتلاحقة حتى الوصول الى موعد الجلسة العامة ، وهو بالتاكيد الموعد الاهم وقد يعني ان مرر مشروع التنقيح ، غلق قوس الانتخابات .

ولا يبدو ان النجاح في تمرير هذه التنقيحات عملية مستحيلة ولا ايضا عملية محسومة . ليست مستحيلة بالنظر الى ان التصويت اصبح يسوق منذ طرح المبادرة على أنه بمثابة التصويت لحل او لاستمرار المجلس. وذلك لارتباط هذه المؤسسة التشريعية بالمترشح قيس سعيد مقابل تعهدات بحله من قبل بقية المترشحين سواء الرسميين(على الاقل العياشي زمال) حسب الهيئة او المتحصلين على حكم من المحكمة الادارية يلزم بإرجاعهم الى السباق الانتخابي .

يعني هذا الارتباط والترابط امكانية انخراط النواب في التصويت بنعم لتحقيق مصلحة البقاء والمحافظة على العضوية البرلمانية وامتيازاتها بغض النظر عما قد تخلف هذه الفضيحة التشريعية من ضرب لمصداقية العملية الانتخابية وترسيخ انطباع شبهة التلاعب بهذا المسار وتوظيف اجهزة الدولة لحسم المعركة الانتخابية .

وتبقى فرضية اسقاط التنقيحات واردة ايضا على غرار ما حصل مع عدد من مشاريع القوانين الاخرى ، وفي برلمان كاد ان يدخل في مواجهة مع الرئاسة عندما تم رفع الجلسة العامة المخصصة للنظر في مشروع قانون تجريم التطبيع . كما لم يرافق بداية النقاشات حول المبادرة تجاوب واسع من النواب ولا تزال حملات الحشد متواصلة لحصد الدعم للمبادرة التي قد تمر للمصادقة في غياب الراي الاستشاري للمجلس الاعلى الموقت للقضاء، الهيكل شبه المجمد منذ احالة رئيسه على التقاعد .

دور بودربالة

على الرغم من توتر علاقته برئيس الجمهورية وتهميشه ، كان ابراهيم بودربالة العميد السابق للمحامين والرئيس الحالي لمجلس نواب الشعب حاضرا كلما دعي الى مهمة ، في مشروع تجريم التطبيع الذي كاد ان يكلفه منصبه ثم في تجميد عدد من المبادرات اهمها على الاطلاق مبادرة تنقيح المرسوم 54 او في تنقيح " قانون الشيكات" او عند حضور وزراء حتى الوصول الى التزكيات.

وحسب الروايات المتداولة فان مشروع تنقيح القانون الانتخابي جاء بعد يوم من اجتماع لمجلس الامن القومي تواصل لساعات ولم تصدر الرئاسة أي بيان بخصوصه . ويشير التزامن الى امكانية الترابط بين الاجتماع والمبادرة مع ما شهد المجلس من حراك من الصعب ان يكون نتاج ضغط نيابي او الا يكون قرارا سياسيا وراء التسريع الحاصل لتمرير التنقيحات في اسرع الاجال الممكنة التي لن تتجاوز الاسبوع من تاريخ الايداع حتى موعد المصادقة في جلسة عامة .

هذا القرار السياسي او العقل السياسي الذي هندس التنقيحات وقبلها رفض تنفيذ احكاما باتة صادرة عن المحكمة الادارية وسرع الاعلان عن القائمة النهائية للمترشحين المقبولين تنضاف اليها ما يحدث في بعض المحاكم وفي مؤسسات سيادية وكلها قد تكون كواليس اكثر من مهمة لادراك خفايا هذه الانتخابات الرئاسية وربما لفهم اسباب هذا الانطباع المتعاضم بوجود حالة فزع غير مفهومة لكن يبدو انها تزداد يوما بعد يوم وتزداد معها الانحرافات التي ستبلغ منتهاها مع تمرير تنقيحات على بعد امتار من اطلاق صفارة السباق الانتخابي.

يوميات مأتم انتخابي

صالح مصباح

في البدء، نلتمس التماسا مهذبا، لطيفا، رقيقا، من أعضاء هيئة الانتخابات أن يكفوا عن ترديد عبارات "استقلالية، نزاهة، شفافية، حياد، قانون". إننا نخاف على الجدران من رؤوسنا، ونخشى ألا يسعنا مستشفى الرازي أو أن ننسى أسماءنا. نلتمس ذلك صونا لسلامة المأتم الانتخابي واحتراما لدموع تلك الألفاظ على قبر الإرادة العامة الناخبة.

1/ افتتاح الحملة

يوم 14 سبتمبر الجاري بدأ زمن الحملة الانتخابية. استهلها المترشح الحاكم بخطاب يشبه الإعلان عن حرب على قسم من الشعب تتلوه جنائز. هو خطاب مشتق من أن هذه الانتخابات "بقاء أو فناء" و " نصر" أو" استسلام". ليس في ذهن هذا المترشح أن الانتخابات جُعلت لاستبعاد هذه المفاهيم القتالية ولم تُجعل أبدا لتكريسها.

وبقي هذا الخطاب الانتخابي القتالي بلا خطاب منافس. فهو مقاتلة بالغياب. فأحد المترشحين سجين، والثاني " كمبارس" صموت في الوسائط الوطنية، والبقية منزوعو الحقوق في النزال، أو أسرى "حرب ديمقراطية" جدا.

استطرف بعض جنود الجنرال الرسمي خطابه عن التزكيات على ظهور الدواب، فامتطوا الأحمرة ورفعوا الصور، ولا نعلم وجهةً لرسالة الاستحمار هذه! ثم إن بضعة أنفار رفعوا شعار" الشعب يريد تحرير الوتن" (كذا). وهذا الشعار مشتق من خطاب القائد الحاكم. والحق أن هذا المفهوم قد ينطاع لمن هو خارج الحكم. وقد سبق لنا أن جعلناه عنوانا لمقال سنة 2013 على أيام الاحتلال الإخواني المباشر. أما أن يصدر هذا الخطاب التحرري عن جهة تمسك بكل خيوط الحكم، فهذا شبيه بمن يحرّر وطنا منه، أو بمن اشتد به الولع بالحكم فجعل نفسه الحاكم والمعارض لحكمه، أو الساهر على سباق انتخابي إلى الحكم يجريه بينه وبين نفسه. إنه مأتم انتخابي.

ومن المظاهر الأخرى في هذا المأتم أنفار يرددون في الشارع "يا قيس يا قيسون، معاك ربي والرسول". إنه إبداع يلائم هذا المأتم كل الملاءمة. والملاحظ أن زعيم المجموعة المكونة من ستة، يردّد بصوت حاد. يبدو أنه قيسونيّ قحّ. لكن الجوقة تعيد عليه بتراخ وكسل وإهمال، ما صنع نشازا بائسا مبكيا. إنه المأتم الذي ليس فيه من الخطاب السياسي إلا ذاك الذي قيل. وكل مُعزٍّ بما فيه يبكي.

2/تنظيم مسيرة

بعد مسيرة يوم 13 من هذا الشهر، نظمت "الشبكة التونسية للحقوق والحريات" مسيرة ثانية يوم 22 منه. وهذه كثيفة كسابقتها وليست من جنس "بضع عشرات"، وليس الحق فيها منة من أحد. ولئن شاركت فيها كيانات مدنية وحزبية، فإن الغالب عليها روح المواطنة التي أظهرتها جموع من الشبان الذين قادوها. وما يلفت النظر أن الشعارات المرفوعة سايرت هذا المأتم وفهمت أمواته فهما لا نملك ما به ننظر في ما وراءه مثلما نظر مَن لهم فيه نظر. فقد رفع المتظاهرون، من جملة ما رفعوا، شعار "الرحيل" للحاكم المترشح، والحال أن يوم اختبار الصندوق قريب. لقد فهم المتظاهرون أن يوم 6 أكتوبر لن يكون يوم سباق انتخابي به يكون "الرحيل" أو يكون "البقاء". إنّ مِن العجب الاسترحال بالشارع قبل أيام من موعد الصندوق الذي به يكون نظريا الرحيل. لكن هذا العجب ليس بعجب في مأتمنا الانتخابي هذا.

وندد المتظاهرون في شعاراتهم بـ"قضاء التعليمات". وهو شعار خطير من زاويتين اثنتين : الأولى أن مجرد رفعه رفعا شعبيا يضع موضع استفهام أحد أركان دولة القانون وهو استقلال القضاء. والزاوية الثانية أن هذا الشعار لا ينفصل عن نطاق المأتم الانتخابي. ذلك أن سلسلة الاعتقالات والقضايا والأحكام

غابت صورة والبيان الانتخابي للمترشح العياشي زمال الموقوف منذ يوم 2 سبتمبر

إنما هي مُنزّلة في ذلك النطاق تنزيلا أدركه المتظاهرون جيدا، ولا ينكره غيرهم من ذوي النظر. وما قد يضمر ذاك الشعار هو أن بعض القضاء صار خدوما لمن يدير المأتم الانتخابي على مقاسه.

ألا أن الأعجب مما تقدم في يوم تلك المسيرة هو شعار"الحرية" الذي رفعه المتظاهرون بصيغ شتى. ووجه العجب هو في زمن الشعار. فهو على أيام الحملة الانتخابية تحت دستور يقر الحرية في فصله 37. فالأصل في الحملات هو ذروة الاحتفال بالحرية. ويكون ذلك بحرية التظاهرات السياسية والندوات الفكرية والمناظرات بين المترشحين، وانفتاح المجال للرأي الحر في العهدة المنتهية وفي برامج العهدة القادمة على ألسنة مختلف المترشحين. لكن ما يجري هو انقلاب أعراف العرس الانتخابي مأتما حزينا. رحم الله الديمقراطية. لقد تقرر، كما تقرر ذات عهد في الجوار، أن " تموت يوم ولدت".

وفي اليوم نفسه، أي يوم الأحد 22 سبتمبر الجاري، أمعنت وزيرة العدل في طقوس المأتم، بأن هددت في بلاغ لها الجميع بالويل والثبور إن هم ذكروا ما "يمس" بسوء، على وجه الخصوص الضمني، "سمعة إطارات الدولة". فهل يعقل صدور بلاغ في حملة انتخابية محمولة على النقد وحرية الرأي. فهو بلاغ زجري زجرا صريحا. ذلك أن مقياس الفصل بين النقد و" مَسِيسِ السمعة لإطارات الدولة" مَسكَته الوزيرة مسكا تكتسب به حرية المقاضاة، على حد السواء، لمن أساء التصرف في مبدأ الحرية ولمن أحسنه إحسانا لا يعجبها أو يُفسِد على المأتم النُّدبةَ.

3 / "المبادرة الفضيحة"

هو ذا العنوان الذي اختاره مصيبا الأستاذ أمين محفوظ للمبادرة التشريعية التي جرت يوم أمس 23 سبتمبر، مقدمات إحالتها الى البرلمان. إنها مبادرة محورها تحويل النظر في النزاع الانتخابي عن المحكمة الإدارية إلى محكمة الاستئناف بتونس. ومهما توسع المبادرون في التعليل، فإن الفضيحة تلازمها تلازما. فهي على رأي الأستاذ محفوظ "رسالة سيئة جدا للقضاء العدلي والمتقاضين والعدالة". هي سيئة جدا للقضاء العدلي من جهة أنه، على خلاف القضاء الإداري، يبدو قضاء مطيعا، وتنفيذه للأوامر مضمون سلفا. وهي رسالة سيئة جدا للمتقاضين من جهة أن القضاء العدلي قضاء عام يتوجه إليه عموم المتقاضين. فبأية ثقة فيه سيتوجهون إليه وهو "المحكوم عليه" رسميا بالخضوع لذوي النفوذ، متى لن يظهر العكس. وهي رسالة سيئة جدا للعدالة بإظهارها مؤسسات غير متجانسة، لأن بعضها يحكم بالقانون وبعضها يخضع لقانون الحكام. وفوق ذلك هل يصحّ، بين عشية وضحاها، استبدال هيئة من 27 قاضيا بأخرى من خمسة؟!.

وهل ما ستقضي به محكمة الاستئناف بتونس سينسخ حقيقة قضائية باتة صادرة عن الجلسة العامة في المحكمة الإدارية؟! ألا يدفع هذا إلى اشتباك قانوني ثلاثي بعد أن كان ثنائيا.؟! أي استخفاف هذا بالنظام القانوني وبالانتخابات ذاتها ؟! أليس الأولى في هذه الحال النسج على منوال كوريا الشمالية؟!

لكن الوجه الأفدح من الفضيحة والأفحش هو تكرار التبديل لقواعد المأتم أثناء المأتم. صار ذلك قبل نحو ثلاثة أشهر، ويصير اليوم قبل أسبوعين من الدفن. فأين جرى هذا؟. والغريب أنه كانت للقائم غير المباشر على المأتم في هذا الشأن أقوال يتذاكرها اليوم التونسيون تنسف نسفا كاملا ما يقوم به اليوم. فهل ينقض المرء نفسه إلى هذا الحد؟!. لا تفسير بخلاف أن "البقاء" في السلطة يسمح على ما يبدو بـ"فناء" القانون وأسس الدولة.

فريق الرئيس المنتخب..

بقلم : د.محمد اللومي

يعيش الشعب التونسي منذ مدة على وقع استحقاقات الانتخابات الرئاسية المبرمجة ليوم 6 أكتوبر 2024..و لا شك وأن هذا الاستحقاق الانتخابي الرئاسي ما انفك يطبع المشهد العام في البلاد على أكثر من صعيد.. السياسي بطبيعة الحال.. ولكن أيضا القضائي والحقوقي وحتى الوجداني والنفسي.. الجميع يبدون في عزم وحزم من أمرهم.. المترشحون كما عموم الناخبين ، على حد السواء..

ذلك أن الاستحقاق الرئاسي على غاية من الأهمية وحتى الخطورة.. فالناخبون سيختارون الشخصية التي ستحدد مصيرهم للخمس سنوات المقبلة.. وأما عن أولئك الذين أنسوا في أنفسهم الكفاءة لتحديد مصير الشعب التونسي خلال الخماسية المقبلة، فان شعورهم يتراوح بين الانتصار لهموم الشعب، والقناعة بأن فلسفتهم ومنهجهم لا بديل عنهما لإنقاذ أوضاع البلاد والعباد، والإصرار على الدخول في سجلات التاريخ عبر شرف، لا شرف يضاهيه، شرف المسك بمقاليد الوطن وتحديد مصيره خلال فترة غير هينة من الزمن.

ولئن كنت متفهما لما يخالج عقول الناخبين والمترشحين ووجدانهم، كله الا بعضه، وما ينجر عن كل ذلك من تصرفات وردود أفعال ومواقف.. فاني أجد نفسي في حيرة من أمري في خصوص التمشي اللوجستي والمنهجي، الذي سيعتمده الرئيس الذي سيقع انتخابه- الرئيس المنتخب- على رأس الدولة التونسية، لادارة شؤون البلاد، وخاصة على مستوى ضبط الاستراتيجيات واتخاذ القرارات وبناء المواقف.. وبصفة خاصة في ظل أوضاع البلاد الراهنة، المطبوعة بتباطئ النمو، وتراجع نوايا الاستثمار، وارتفاع نسب البطالة، وتورم نسب الدين العمومي من الناتج المحلي.

الواقعية والسيستام

أكاد أجزم أن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تجتاح البلاد انما لا تمثل في العمق، سوى تلك الشجرة التي تكاد تخفي الملفات القطاعية الكبرى، التي ستؤثث ، يوم 7 أكتوبر 2024، مكتب الرئيس المنتخب.. التكوين المهني وسياسات التشغيل.. اصلاح المنظومة التربوية والجامعية.. اصلاح المنظومة الصحية.. تطوير المنظومة الاقتصادية، على نبض الاقتصاد العالمي في اتجاه التحرر، كما في كنف التكافل الاجتماعي.. اصلاح وتطوير المنظومة الجبائية.. برامج مؤازرة المؤسسات الصغرى والمتوسطة..التحديات التي تطرحها التغيرات المناخية وتطوير منظومة الطاقات البديلة.. الهجرة غير الشرعية.. السياسات الخارجية في ظل الرهانات الإقليمية والدولية.. ويقيني أنه أمام ما تتسم به ناشئة البلاد ، من شديد الوطأة وثقيل القول، فان ساكن قرطاج المنتخب، يحب أن يكون على بينة من أمور ثلاث..أولا، أثبتت التجارب السياسية، منذ الاسكندر المقدوني ثم يوليوس قيصر، أن الحركات السياسية الإصلاحية، مهما كان نبل مقاصدها، ووهج حماسة قائدها وكاريزميته، لا يمكن أن تثمر ما استبطنت من أهداف ونتائج، كما لا يمكن لها الاستدامة في الزمن، في غياب هيكل تنظيمي يسندها، وكفاءات عالية تشرف عليها، تنظيرا وتجسيما ومتابعة. ثانيا، يمكن دائما للحركة الإصلاحية أن تشتغل من خارج المنظومة القائمة، ولكن لا أمل لها في بلوغ الأهداف والنتائج التي انبعثت من أجلها، الا متى التحمت بالسائد من الدواليب والتقاليد والاليات، مقارعة واقتناعا وعلاجا.

ثالثا، ان الشعب الذي يصرح بصوته لفائدة الرئيس المنتخب، انما يصطفيه دون غيره، طمعا في فعله ولا في قوله.. حتى اذا خطب في الناس، استرعتهم حلوله لا أفكاره.. وحسبي أن الرئيس المنتخب سيكون يوم 7 أكتوبر 2024 في وضع لا يحسد عليه.. وضع المصارع.. في مواجهة تحديات ثلاث.. تحديات قطاعية بثقل تنوء من وطأته الجبال.. تحديات المنظومة القائمة- السيستام- بما تبوح به من تكلس وشد الى الوراء وزيغ عن الرشاد.. تحديات الوظيفة الرئاسية ذاتها، بما تفرض من الزامية النتائج مهما كانت الإمكانات المتاحة.. لذا فان الشعب التونسي، حين سيصوت في اليوم الموعود لفائدة مرشح بعينه، بقدر ما يمثل ذلك التصويت ترجمانا للأمل الذي يحيا به من أجل مستقبل واعد، بقدر ما سيبرح ذلك الأمل القلوب منذ اليوم الأول للعهدة الرئاسية الجديدة.. لتحل محله يقظة العقول، استقصاء لكل ما من شأنه أن يمثل استدراكا لأحوال المواطن- نحو الأفضل- في جميع مجالات الحياة والرفاه. لكني لست هنا بالمتشائم.. ولكن لا بالمتفائل أيضا.. فالسياسة، ولئن حملت على نفسها أن يكون الوجدان جزءا منها، فان ميزتها الكبرى وكنز نجاحها يتمثلان في الواقعية.. الرئيس المنتخب يجب أن يتحلى بالواقعية منذ يوم 7 أكتوبر 2024.. الرئيس المنتخب، أي رئيس منتخب، لن يقدر على خوض الصراع منفردا.. لأن الشعب الذي سينتخب ، لن يرضى حتى يكسب الرئيس المنتخب صراعه، تجاه ملفاته القطاعية الكبرى، داخل حلبة –السيستام-، محققا تدريجيا الفوز من أجل غد أفضل لتونس وشعبها.

لعمري، فان الواقعية تفرض حتما على الرئيس المنتخب أن يستبطن قبل بداية عهدته الرئاسية، فيزيولوجيا بناء الاستراتيجيات، واتخاذ القرارات والمواقف.. فهو سيجد نفسه، في كل مرة يبتغي فيها اصلاحا قطاعيا أو متعلقا بالسيستام، أمام جملة من المشاكل.. ولعله من غرائب الأمور في السياسة كما في غيرها من الشؤون، أن المشاكل تحديدها من غير الأمور البديهية أو السهلة، فالمشاكل تستوجب تمحيصا يؤدي الى تشخيصها بكل دقة.. ثم ان المشاكل اذا تم تشخيصها، استوجبت تحليلها في العمق، تعرفا الى أسبابها وتفرعاتها ومدى ارتباطها بنقائص غير بادية للعيان.. حينها يمكن اقتراح جملة من الحلول .. وأعتقد أن كل هذا يجب أن يكون من عمل الخبراء واجتهاداتهم، كل في ميدانه.. الحلول المقترحة من طرف الخبراء، يجب أن يتم تحويلها الى جملة من الإجراءات.. وان ذلك لمن عمل المستشارين.. مستشاري الرئيس.. مستشارو الرئيس، يرسمون، على ضوء الحلول المقدمة من طرف الخبراء، جملة من الإجراءات العملية، بعد فحص مدى إمكانية تفعيلها على أرض الواقع، والتثبت من جاهزية الرافعات اللوجستية والاعتمادات المادية من أجل ذلك، مع الحرص على خلو تنفيذها من كل المخاطر الجانبية. حينها، ترفع الإجراءات المقترحة لعناية سيادة رئيس الدولة ، ليتداولها مع وزرائه، وكلما اقتضت الضرورة، مع المنظمات المهنية، والأحزاب السياسية- موالاة ومعارضة-، وكل مكونات المجتمع المدني.. الرئيس المنتخب يجب أن يتحلى بالواقعية منذ يوم 7 أكتوبر 2024.. الرئيس المنتخب، أي رئيس منتخب، لن يقدر على خوض الصراع تجاه الملفات القطاعية الكبرى، داخل حلبة السيستام منفردا.. الرئيس المنتخب يجب أن يؤثث بلاطه بفريق غير قليل من الخبراء، لا معيار لاصطفائهم سوى معيار الذكاء.. ولا شيء غير الذكاء.. وبفريق من المستشارين، كل في ميدانه، يكون صمام أمان القصر، ومصدر ثقته في الأوقات الصعبة، ومرجعه في الفصل كلما حل تباين أو خلط في بعض الشؤون والأمور.. لذا فانني أقترح ألا تفتتح العهدة الرئاسية الجديدة الا بعد تمكين الرئيس المنتخب من تأثيث ديوانه بفرق الخبراء والمستشارين، من أهل الذكاء والخبرة والكفاءة العالية.. وان ذلك من شأنه أن يستغرق حيزا زمنيا لا يقل عن الشهرين..

لا شك أن لسان حال المترشحين للاستحقاق الرئاسي المبرمج ليوم 6 أكتوبر 2024، ينطق بما جاء في الاية الكريمة.. «ان أريد الا الإصلاح ما استطعت».. فيتبادرني ما كان عند الله خيراو أبقى.. للذين أمرهم شورى بينهم.. ذلك ما وعد به الله عز وجل في كتابه العزيز.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون..خيرا لتونس وشعبها.. وأبقى..

الأستاذ أمين محفوظ و«سيرة الحب»

بقلم : عبد السلام الككلي

كتب أستاذ القانون الدستوري أمين محفوظ يوم 14 سبتمبر 2024 على صفحته بفايسبوك ما يلي :

"مرحبا بكل من راجع نفسه واقتنع بأن الهدف من التدابير المعلن عنها، بعد أن عبر الشعب عن غضبه، ليلة 25 جويلية 2021 لم يكن كما تم الإعلان عنه والالتزام به في نص قانوني نشر بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية،" إرساء نظام ديمقراطي في إطار دولة القانون والمؤسسات" وإنما إرساء نظام استبدادي يقوم على نفي الحقوق والحريات.

ملاحظة : لا نحتاج إلى دروس ممن عرقل في العشرية الفارطة إرساء نظام ديمقراطي في إطار "دولة القانون والمؤسسات"

وكتب في تدوينة يوم 17 سبتمبر 2024 باحثا عن نوع من " الضمار "

وعلى خطى كوكب الشرق ام كلثوم وفي Pastiche (محاكاة) لكلمات "سيرة الحب"

"سيرة الديمقراطية" :

"ياللي ظلمتوا الديمقراطية
وقلتوا وعدتوا عليها
قلتوا عليها مش عارف ايه
العيب فيكم، يا في حكامكم، أما الديمقراطية يا روحي عليها»!

لا ندري اذا كان الأستاذ مولعا بالديمقراطية الى هذا الحد ولكن فلتذكر بعض سيرته معها ومع التدابير الاستثنائية وهي بلا شك كما سنرى سيرة عاشق للديمقراطية ومتيم بها كعشقه لام كلثوم و"سيرة الحب"

الرجل الذي مهد للانقلاب على الدستور وساهم في صنعه

صرح وليد الحجام مستشار رئيس الجمهورية قيس سعيد يوم 9 سبتمبر 2021 (بعد شهرين تقريبا من تدابير 25 جويلية 2021) الى وسيلتي اعلام أجنبيتين أن الدستور أصبح عائقا أساسيا ولم يستبعد امكانية تعليق العمل به ووضع نظام مؤقت للسلط ولم يستبعد رئيس الجمهورية هو نفسه هذه الفرضية اثناء استقباله يوم 14 سبتمبر 2021 لثلاثة اساتذة قانون حيث نفى عن الدستور المشروعية وقال إن التنظيم المؤقت للسلط موجود ولديه منه نصوص.. كان من بين الأساتذة المدعوين امين محفوظ.

ان تعليق العمل بالدستور ووضع نظام مؤقت للسلط ليس له من معنى سوى انهاء العمل بالدستور واستبداله بالنظام المؤقت للسلط في انتظار اعلان رئيس الجمهورية لدستور جديد ذي توجه رئاسي حسب تصريح المستشار وليد الحجام.

الدعوة إلى إنهاء العمل بدستور2014 لم تكن دعوة مستحدثة في ذلك الوقت . فقد ظهرت منذ ميلاده دعوات الى تعديله او الى القطع معه نهائيا واستبداله بدستور آخر رغم عدم استكمال ارساء المؤسسات المنصوص عليها به ، مثل السلطة المحلية ومثل المحكمة الدستورية التي اسند لها الدستور وظائف جوهرية تحول دون الاستبداد على غرار البت في نزاعات الاختصاص بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ومثل عزل رئيس الجمهورية اذا ثبت لها انه ارتكب خطأ جسيما للدستور ومثل النظر في دستورية مشاريع القوانين.

من بين من حكموا بالفشل على الدستور حكما باتا نجد الأستاذ امين محفوظ استاذ القانون الذي كان من بين الذين استقبلهم رئيس الجمهورية يوم 14 سبتمبر 2021 وهو لم يخف ابدا عداءه لدستور27 جانفي فقد اصدر عليه حكما بالإعدام ودعا الى القطع نهائيا معه أثناء حوار أجرته معه إذاعة » موزاييك آف آم » حيث قال «" انتهى هذا الدستور " واعتبر التدابير الاستثنائية التي اعلن عنها قيس سعيد يوم 25 جويلية فرصة ذهبية لإنهاء العمل به ولإصدار نصّ تنظيم مؤقت للسلطة وتقديم مشروع دستور جديد واستشهد بإنهاء العمل في فرنسا بدستور الجمهورية الرابعة وذكر أن « شارل دي غول » عندما قطع مع دستور سنة 1946 أتى بلجنة من الخبراء وكلفها بإعداد نص جديد وهو في كل ذلك يحرف الوقائع والتاريخ . فما فعله "ديغول "لا صله له بما يقوله محفوظ وقد كنا رددنا عليه في مقال مطول لكشف مغالطاته (انظر مقالنا " هكذا يعدلون دساتيرهم وهكذا نعدل دستورنا : الحقيقة المرة " اسطرلاب 23 سبتمبر 2021).

كان امين محفوظ أيضا من مهندسي الالتجاء الى الفصل 80 بل كان داعما له فقد كان قيس سعيد يتحدث باستمرار منذ بداية حكمه عن" الصواريخ الموضوعة على منصاتها " وهو بلا شك كان يشير الى" التدابير الاستثنائية" كما كان محفوظ يشير في كثير من تدويناته التي لم تفهم الا بعد 25 جويلية الى السلاح الاخطر في يد رئيس الجمهورية. فقد كتب يوم 22 افريل 2021 " الحكمة أفضل من التهور ".

هل يدرك من يريد الدخول في معارك خاسرة مع رئيس الدولة أن هذا الأخير لم يستعمل بعد السلاح الدستوري الأخطر على الإطلاق ؟ .

كان هذا قبل استعمال السلاح او الصاروخ المدمر بلغة قيس سعيد اما بعد استعماله فقد سخّر محفوظ ومعه الصادق بلعيد كل جهدهما لتبرير الانقلاب على الفصل 80.

فقد صرّح بلعيد لاذاعة "موزاييك " ان الرئيس خرج في مبادراته (اعتماد الفصل 80)عن مظلّة الدستور وبإمكانه ان يستند على المشروعية الشعبية غير انّه لم يعط تعريفا لهذه المشروعية التي يفضّلها على الدستور وهي حسب تعبيره أقوى منه وأصلح .فكل خروج الى الشارع من مجموعات غير معلومة العدد ولا التوجهات ولا المطالب الدقيقة تعطي في منظوره مشروعية يمكن الاحتكام اليها لإنهاء العمل بالدستور. ومحفوظ مع الاسف لا يزال يكرر هذا الوهم في تدوينته الأخيرة أعلاه ويصر على ان الشعب خرج غاضبا ليلة 25 جويلية في حين انه لا احد يعرف عدد الذين خرجوا ليلتها ولا من حركهم ولا طبيعة مطالبهم ... فما الفائدة اذن من سن الدساتير؟ ولو كان ذلك صحيحا لجاز بقياس منطقي صحيح ان نجعل من مطالبة الشباب في مظاهرة يوم الجمعة 14 سبتمبر 2024 والتي شارك فيها الألاف برحيل قيس سعيد مطية للمطالبة برحيله فعلا . مادامت الجماهير الغاضبة في عرف أستاذ القانون هي التي تحدد مصير أجهزة الدولة.

وقال محفوظ لإذاعة « موزاييك آف آم » ايضا "وجدنا الحل في الفصل 80 » وأضاف انه من دعاة تطبيقه وانه يلزمنا الخروج من هذا الدستور.. فهو يعتبره السبب الرئيس في تردّي الأزمات فبسببه أصبحت الدولة مهدّدة وغير قادرة على إدارة الأزمات فالنظام السياسي الذي جاء به هذا الدستور لا يسمح للدولة بإدارة الازمات وبمحاولة إيجاد الحلول لها وهو على شاكلة الصغير الزكراوي (اصبح من اشرس المعارضين لقيس سعيد بعد ذلك) يستدلّ بجائحة كورونا وبتصرّف الدولة حيالها قبل يوم 25 جويلية وبعده ليثبت الفرق في نجاعة الأداء بعد 25 جويلية ويستخلص من ذلك توفر الفرصة الذهبية لإنهاء العمل بهذا الدستور الذي من عيوبه انه نص هجين واستخلص ايضا ان الحل هو اصدار نص تنظيم مؤقت للسلط يقع فيه حلّ العديد المؤسسات منها البرلمان وتقديم مشروع دستور جديد يؤسس لدولة القانون ..وتبدو أقوال محفوظ عير دقيقة ومتحيزة وهي تحتاج إلى بعض التوضيحات.

يقول محفوظ الفكرة ونقيضها فهو من جهة يرى ان الحل وجد في الفصل 80 من الدستور لمواجهة الخطر الداهم ومعنى هذا القول ان دستور جانفي 2014 يسمح للدولة بإدارة الازمات لكن سرعان ما يعبّر عن نقيض هذه الفكرة بالقول ان هذا الدستور لا يسمح

للدولة بإدارة الأزمات. فأي من رأييه نصدق يا ترى ؟

كان الأستاذان امين محفوظ والصادق بلعيد على علم تام بشروط استعمال الفصل 80 ومن ضمنها وجود محكمة دستورية غير ان هذا الشرط لم يكن يعنيهما كثيرا كما لم يكن يعنيهما كثيرا الحدود التي يضعها الفصل لاعتماده من قبل رئيس الجمهورية ومنها انه محدد في الزمن وأن البرلمان يظل في حالة انعقاد دائم وان الحكومة تظل قائمة إذ يمنع على البرلمان تقديم لائحة لوم ضدها ..فهما يقرآن النصوص بحسب ما يريدان منها لا بحسب ما تقوله بصريح العبارة التي لا تحتاج إلى أي تأويل.

كان الرجلان يخرجان تماما من جبة رجل القانون ليلبسا ثوب المعارض الصريح لدستور 2014 حقا وباطلا.. كانا في الواقع يشتغلان متعاونين من اجل التمهيد للانقلاب القادم في 25 جويلية ثم الدعاية له ونصرته بعد 25 جويلية.

الرجل الذي ساهم في الانقلاب على الدستور

تمّ بالمرسوم عدد 30 لسنة 2022 إحداث "الهيئة الوطنية الاستشارية من أجل جمهورية جديدة " واسند لها الفصل 2 من نفس المرسوم ان تتولّى بطلب من رئيس الجمهورية « تقديم اقتراح يتعلق بإعداد مشروع دستور لجمهورية جديدة ويقدم هذا المشروع إلى رئيس الجمهورية » وأوجب عليها ان تحترم في عملها جملة من المبادئ والأهداف من بينها تلك المنصوص عليها بالفصل 22 من الأمر الرئاسي عدد 117 لسنة 2021 المؤرخ في 22 سبتمبر 2021 المتعلق بتدابير استثنائية.

وقد أصدر قيس سعيد هذا الامر في اطار التدابير الاستثنائية التي كان اعلن عنها مساء يوم 25 جويلية 2021 على معنى الفصل 80 من الدستور وهو يتضمّن احكاما مخالفة للدستور 2014 (رغم انه يحيل عليه في إطلاعاته)فقد جمع رئيس الجمهورية في الامر 117 في شخصه السلطات التأسيسية والتشريعية والترتيبية . وحسب صريح نصّه يلغى هذا الأمر احكام الدستور المخالفة له فهو اذن نصّ تأسيسي. وهو بمثابة تنظيم مؤقت للبلاد التونسية مرتبته الاعلى في سلّم النصوص القانونية فهو أعلى من الدستور وإذن أعلى من المراسيم التي هي ذات صبغة تشريعية بمعنى انه يجب على المرسوم عدد 30 لسنة 2022 المذكور أعلاه احترام احكام الأمر عدد 117 لسنة 2021 لاسيّما وانه احال عليه وخاصة على الفصل 22 منه.

موضوع هذا المرسوم هو اعداد مشروع دستور جديد بما يعني بعد المصادقة عليه في الاستفتاء الذي كان مقرّرا ليوم 25 جويلية 2021 انهاء العمل بدستور 2014 بينما لا يتحدّث الفصل 22 من الامر عدد 117 عن اعداد دستور جديد بل يتحدّث عن تولي" رئيس الجمهورية إعداد مشاريع التعديلات المتعلقة بالإصلاحات السياسية بالاستعانة بلجنة يتم تنظيمها بأمر رئاسي. بما يعني ابقاء العمل بدستور 2014و الاقتصار على تعديل بعض احكامه والابقاء على مبدأ الفصل بين السلط.

هكذا تبيّن الفقرة الأولى من الفصل 22 من الأمر عدد 117 لسنة 2021 أنّ رئيس الجمهورية يتولّى إعداد مشاريع التعديلات بالاستعانة بلجنة يتم تنظيمها بأمر رئاسي وتبيّن الفقرة الثانية من هذا الفصل هدف تلك التعديلات فهي ترمي حسب نصه الى التأسيس لنظام ديمقراطي « يقوم على أساس الفصل بين السلط والتوازن الفعلي بينها ويكرس دولة القانون ويضمن الحقوق والحريات العامة والفردية .... » وجاء في آخر هذه الفقرة ان رئيس الجمهورية يعرض تلك التعديلات على الاستفتاء للمصادقة عليها.

التعديلات جمع لمفردة التعديل وتعديل النص القانوني لا يعني انهاء العمل به واستبداله بنص جديد وإنّما مدلول تعديل النص القانوني هو بالأساس الإبقاء على هذا النص وادخال تغييرات عليه تتمثّل إمّا في حذف فصل او فصول منه وإمّا في اضافة فصل او فصول له وإمّا في حذف فقرة او فقرات من فصل او من عدّة فصول وإمّا في اضافة فقرة او فقرات لفصل او لعدّة فصول وإمّا في تغيير مضمون فصل او عدّة فصول وعلى هذا الأساس فإنّ الفصل 22 من الأمر عدد 117 لسنة 2021 لا يدلّ بتاتا على انهاء العمل بدستور 2014 واستبداله بدستور جديد وإنّما مدلوله هو بالأساس الابقاء على دستور 2014 واحداث تعديل عليه يتولى رئيس الجمهورية صياغته مستعينا في الغرض بلجنة.

" إنما العاجز من لا يستبد "

هكذا يكون المرسوم عدد 30 لسنة 2022 مخالفا لصريح الفصل 22 من الأمر عدد 117 لسنة 2022 . لذا فإن ما قامت به لجنة الصادق بلعيد وأمين محفوظ لكتابة دستور جديد باطل بطلانا مطلقا وان الاستفتاء الذي جرى يوم 25 جويلية 2022 هو أيضا كان باطلا بطلانا مطلقا مادام يعرض على الناخبين مشروع دستور جديد ولا يعرض عليهم تعديلات لفصل او لبعض فصول الدستور الذي يراد تنقيحه ...و خلاصة القول أننا منذ 25 جويلية 2021 نعيش فوضى دستورية وقانونية فحتى النصوص الصادرة بعنوان « تدابير استثنائية » لا تحترم أحكامها هي نفسها بل يناقض بعضها بعضا ويكذب الواحد منها الأخر كما بينا ...ولا شك ان الصادق بلعيد وأمين محفوظ كانا مشاركين مشاركة فعالة في هذه الفوضى وداعمين لها.

هل كان يحق لأمين محفوظ فعل كل شيء من اجل صنع الاستفراد بالسلطة ثم إسناده بفتاوى قانونية ما انزل الله بها من سلطان ؟ هل نصدقه حين يتلو علينا سيرة حبه للديمقراطية. هل نستمع الى اغنيته وهو في ثوب المتيم بالديمقراطية التي القى بدستورها في سلة المهملات ومهد بشكل او باخر لكتابة دستور حبره الرئيس بنفسه ولنفسه قصد الحكم بلا حسيب ولا رقيب ولمدة لا يعلمها الا الله ، اذ منح « الدستور الجديد » لرئيس الجمهورية الحق في البقاء في السلطة خارج أي مدد دستورية اذا كان وضع البلاد يستحق بقاءه؟

أخيرا إن وضع أمين محفوظ كوضع من أشعل نارا ثم صاح يحذر الناس من الحريق.

التدابير الاستثنائية كان طريقا عبّد لحكم الفرد ؟. لعلك فهمت ذلك الان سيد محفوظ.

لكن مع الاسف الشديد جاء فهمك متأخرا و"لات ساعة مندم" ولا ساعة فرار ولا ذهاب. يفعل الفرد الحاكم ما يشاء ولا يلتفت الى أحد .. يستعمل الجميع ثم يكون مصيرهم كمصير أساتذة القانون لدينا وانت منهم ساهموا في كتابة دستور كان مصيره سلة المهملات ليكتب قيس سعيد دستورا بنفسه ولنفسه ولسان حاله يقول مثل سلاطين الماضي " إنما العاجز من لا يستبد " ولا يهم انك كتبت بعد صدوره وانت المولع بمحاكاة الأغاني الشهيرة متبعا خطى Francis Bebey واغنيته المعروفة " Agatha: " fils Ce n'est pas mon .

فهنيئا لك بسلاح قيس سعيد الاخطر الذي بشر به يوم 22 افريل 2021 اي ثلاثة اشهر قبل 25 جويلية 2021 وبشرت به أيضا وبصواريخ الرئيس التي انطلقت من منصاتها لتصيب الديمقراطية في مقتل ...فانظر يا سيد محفوظ مسؤوليتك في كل ذلك ..وردد بعد ذلك أية سيرة تهوى " سيرة الحب " أم سيرة " فات الميعاد ". "وتفيد بإيه يا ندم ؟"...

أمين محفوظ مع الرئيس قيس سعيد في بداية مسار ما بعد 25 جويلية

من أدوات التخريب المُمنهج للمدرسة العموميّة

أنس الشابي

سنة دراسيّة جديدة حلّت لكنها على غير ما تعوّدنا، إذ يشهد ملفّ التعليم جملة من الاختراقات التي هدّدت توحيد التعليم أهمّ مكسب من مكاسب دولة الاستقلال وذلك بتذريره وشرذمته إلى أصناف ما أنزل الله بها من سلطان لنجد أنفسنا أمام مدرسة عموميّة في مواجهة جمعيّات دينيّة تروّج لبرامج وكتب أغلبها مقرّر في المدارس الحزبيّة لتيارات إسلاميّة أوجدت لحسابات سياسيّة قصيرة النظر أدّت إلى استهداف مدرسة الجمهوريّة تارة بحسن نيّة وأخرى بسوئها خدمة لهدف سياسي آني ظرفي لم يضع في الاعتبار أنّ التلاعب بملفّ التعليم نتائجه قاتلة ومميتة.

فبعد السابع من نوفمبر 1987 ارتكبت السلطة الجديدة حماقتين في إطار سياسة سحب البساط من تحت أقدام حركة النهضة أو ما سُمِّي أيامها التفتّح ما زلنا نعاني إلى اليوم من مخلفاتهما وهما:

1) التوسيع من صلاحيات المؤسّسات الدينيّة الرسميّة وإنشاء بعضها الآخر من ذلك:

* الترفيع في الصفة الإداريّة لكلية الشريعة وأصول الدين بجعلها جامعة دون أن تكون هنالك حاجة لذلك، فعدد الطلبة فيها لم يكن يتجاوز المائتين فما راعنا أيامها إلا أنّه أصبح يعدّ بالآلاف(1)، ولم تمض سنوات قليلة حتى تبيّن خطأ هذا الاختيار إذ تكاثر عدد الخريجين ولم تجد الدولة سبيلا لتصريف هذا الإنتاج البائر فوزارة التربية المشغّل الوحيد لا تتجاوز طاقة استيعابها 180 نفرا سنويّا وهو ما دفع السلطة إلى التوقّف عن توجيه الآلاف من الطلبة، أمّا بالنسبة للأساتذة الذين تضخّم عددهم إلى حدود غير معقولة فبعد أن كان لا يتجاوز العشرات أصبح يعدّ بالمئات كما هو الحال اليوم، واللافت للانتباه أنّ هذه الجامعة لم تكن تمارس أيّ دور عام فأغلب أساتذتها أعضاء في شعبة التعليم العالي ولم نسمع لهم صوتا طوال عشريتي حكم المرحوم ابن علي، ولكن بعد سنة 2011 انتقل هؤلاء من شُعب التجمّع إلى حجر حركة النهضة فنشروا البيانات وكفّروا خلق الله واجترؤوا علينا إرضاء للحاكم الجديد ولبسوا الجبيبات والكشيطات في محاولة منهم للعب دور الأزهر في تونس ولكن فاتهم أن نخب دولة الاستقلال لهم بالمرصاد.

* حتى تستوعب الإدارة العدد المهول من الأساتذة الذين وقع انتدابهم أحدثت السلطة مركز بحث في القيروان وآخر في سوسة تحت مسمّيات لا دلالة لها في الواقع لتصريف العمالة الزائدة ولا نعثر اليوم لهذين المركزين أيّ إضافة علميّة أو بحثيّة فأحد الباحثين في مركز القيروان سطا على دراسات الآخرين ونسبها لنفسه وتسترّت عليه رئاسة ما يسمّى جامعة الزيتونة الكائن محلّها في رحبة الغنم في فضيحة لا نظير لها تناقلتها وسائل الإعلام(2).

2) إعادة التعليم الزيتوني وقد تمّ ذلك استجابة لطلب بعض الشيوخ الذين يحملون حقدا شخصيّا على الزعيم بورقيبة ووجدوا الفرصة سانحة للانتقام منه وعلى رأسهم الشيخ الشاذلي النيفر رئيس الشعبة الدستوريّة لمنطقة السيّدة الذي كان رأس حربة الحزب الدستوري وزعيم الكتلة العصا الغليظة التي أنشئت أساسا للقضاء على صوت الطالب الزيتوني، إلا أنّ دولة الاستقلال لم

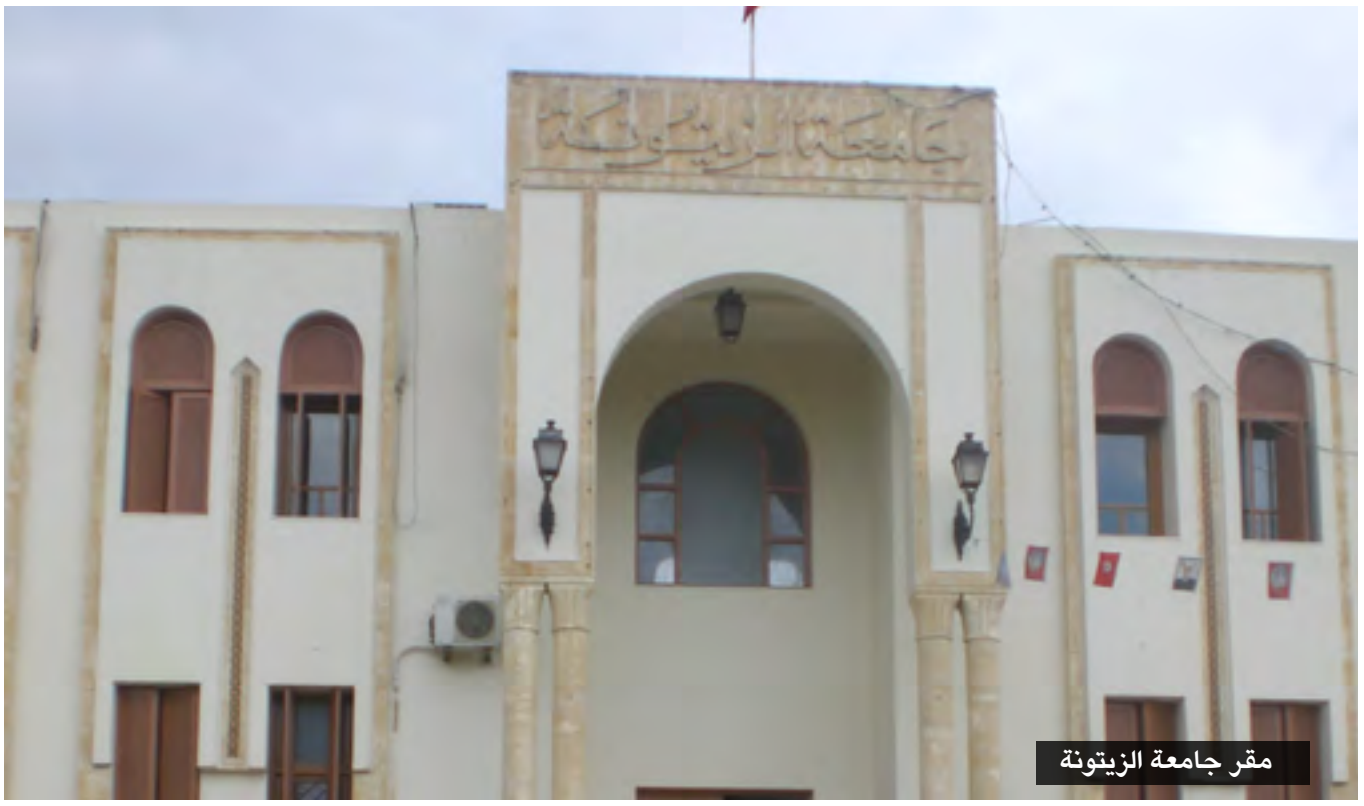
مقر جامعة الزيتونة

تكافئه على خدماته بما كان ينتظر بحيث لم يتجاوز دوره فيها النيابة في البرلمان كما ارتفع منسوب كرهه للزعيم لمّا شهّر بوالده الشيخ الصادق النيفر بحضوره في خطاب أذيع ونشر في جريدة الصباح(3) حيث قرأ الزعيم مكتوبا أرسله الشيخ إلى الكاتب العام الوزير المفوض مسيو روى يترجّاه فيه أن يعينه في المجلس المختلط كما قرأ القصيد الذي مدحه فيه من بين ما جاء فيه:

"يحيا علاك مُمتّعا بالعافية
يا من سما فوق العقول السامية
مسيو روا يا من روى بذكائه
درس الحقائق والشؤون العالية
سُست الأمور بحكمة ورصانة
هيهات أن ترضى بغيرك ثانية
ذكر يردّد بالمزايا الضافية
ولكم صنعت من الجميل وكم لكم
من المَكرُمات في العيون الجارية
إني وقفت ولست أقضي حقّكم
بطويل نثر أو نظام القافية
متشكّرا والله يجزل أجركم
بمديد عمر في ثياب الواقية
مترنّما في كلّ ذرّة شارق
يحيا علاك ممتّعا بالعافية.
قاله بفمه وكتبه بقلمه عبد إحسانكم محمد الصادق النيفر".

يروي الشيخ محمد البدوي زعيم صوت الطالب الزيتوني بمرارة ما صدر عن الشاذلي النيفر في جريدة الفجر التي جمعتهم الاثنين على صفحاتها يقول: "والحمد لله أخيرا وليس بآخر أن مدّ في أنفاسي حتى أرى فاروق المدارس الزيتونيّة يصدق عليه المثل السائر الذي يقول من مدح وذمّ فقد كذب مرّتين" وفي الهامش كشف شخصيّة فاروق المدارس بقوله: "نُزِعت إدارة المدارس الزيتونيّة من المصلح الكبير الشيخ الشاذلي بن القاضي وأسندت لعبد (يقصد الشيخ الشاذلي النيفر) ذلك المعبود (يقصد الحبيب بورقيبة)، وكان الحيّ الزيتوني قد أنجز وتشاكس فيه متشاكسون وكان فاروق مصر قد دعا نفسه ملك مصر والسودان فنُحِّي عنهما معا وقال هذا الشيخ العابد أنا مدير المدارس والحيّ الزيتوني أيضا فلقّبناه بفاروق المدارس للتنظير ووحدة المصير..."(4)، لم تكن دعوة الشيخ الشاذلي النيفر وحرصه على إحياء التعليم الزيتوني إلا أخذا بالثأر من الزعيم بعد رحيله عن الحكم وقد جمع لتنفيذ هذه المهمّة عددا مما تبقى من الشيوخ منهم حتى من تواضعت بضاعته، إلا أنّ السلطة سرعان ما تفطّنت إلى الأغراض الحقيقيّة من هذه العملية فأنهتها بسرعة، بعد سنة 2011 عاد النهضويّون إلى إحياء هذه الفكرة ونصّبوا خلفا للشاذلي النيفر الكهربائي وزميل الغنوشي في الشمبري في السجن المدعوّ حسين العبيدي وقد تم افتتاح هذا التعليم في احتفال في جامع الزيتونة بحضور وزراء ثلاثة من الثالوث الحاكم، غير أنّ الرياح تجري بما لا تشتهي السفن حيث انشطرت هذه التي سمّيت بمشيخة الزيتونة مؤخّرا إلى مشيختين واحدة في باب الخضراء تحت مسمّى "مشيخة التعليم الزيتوني وفروعه" يرأسها أحد الوعاظ والأخرى في لافايات تحت مسمّى "مشيخة جامع الزيتونة المعمور" برئاسة منير الكمنتر الذي رُفضت ترقيته في جامعة الزيتونة لأنّه سطا على كتاب لأستاذه نسبه لنفسه(5) كما اشتهر بدرس له جاء فيه أن الإمام مالك فعص عقربا بأليتيه قائلا لها "ألا تعلمين أنّ لحوم العلماء مرّة".

خطيئتان ارتكبهما النظام السابق واستغلّهما الوضع الجديد للمزيد من تدمير المنظومة التربويّة من خلال تعليم مواز لا علاقة له بالعصر ولا حتى بالزيتونة التي يدّعي الانتساب إليها ويظهر ذلك من خلال:

أ) الداعون إلى التعليم الزيتوني والقائمون عليه اليوم لا علاقة لهم بالزيتونة وليس لهم بها أيّ صلة لأنّهم درسوا في مدرسة الاستقلال، وكبار السنّ منهم لا يمكن أن يدّعوا أنّهم زيتونيّون وإن درسوا لدى آخر طبقة من شيوخ الزيتونة ككاتب هذه السطور ولكن بحسب المناهج الجديدة وليس المناهج الزيتونية القديمة، فأغلب هؤلاء الدّعاة من منتسبي الحركات التي تخلط الدين بالسياسة وما الدعوة إلى هذا النوع من التعليم إلا المدخل للاصطياد وللتجنيد لصالح هذه الحركات فالصلة بينهما مؤكّدة وواضحة ولم تتكاثر هذه البؤر إلا بعد انتصاب حركة النهضة في قصر القصبة.

ب) التعليم الزيتوني كان محلّ نقد ودعوة إلى الإصلاح من الزيتونيّين أنفسهم الذين نشروا من المقالات في هذا الشأن ما لا عدّ له ولا حصر يكفي أن نذكر "لائحة في إصلاح التعليم بالجامع الأعظم" وهي عبارة عن حصيلة نقاشات جمعها محمد الصالح المهيدي ونشرها في كتيّب سنة 1929 لخّص فيه أهمّ المطالب المحقّقة لإصلاح التعليم في الجامع الأعظم أهمّها يتعلّق بالمواد الدراسيّة والمناهج داعيا إلى تعصيرها وتغيير محتواها بما يستجيب لتكوين يتلاءم مع عصر انفتحت فيه الأبواب التي كانت مغلقة سابقا، كما أنّ الجهات الرسميّة كانت واعية بما عليه التعليم الزيتوني من اهتراء وضعف لذا كوّنت الحكومات المتعاقبة منذ القرن التاسع عشر لجانا للنظر في سُبل إصلاحه، ومن الجدير بالملاحظة أنّ شيخ الجامع محمد الطاهر ابن عاشور كان واعيا هو الآخر بهذا القصور فكتب "أليس الصبح بقريب" الذي عرض فيه فلسفته في التربية وإصلاح التعليم وسُبل النهوض به، لم يكن توحيد التعليم وإنشاء كلية الشريعة وأصول الدين في دولة الاستقلال إلا إصلاحا شاملا للمنظومة التعليميّة التي كانت سائدة قبل الاستقلال ويحتلّ فيها التعليم الزيتوني نصيب الأسد وما الدعوة اليوم إلى إحياء التعليم الزيتوني إلا محاولة لإحياء جثّة شبعت موتا أوّلا ولتحقيق أهداف سياسيّة ثانيا لأنّها المدخل إلى خلط الدين بالسياسة، وتأمّلوا مليّا الرسائل التي يحصل بها الطلبة على شهادات الدكتورا ممّا يسمّى جامعة الزيتونة فأغلبها يدور حول الغنوشي كتلك الرسالة التي ناقشها وزير الشؤون الدينية السابق والقرضاوي الذي يُمتحن الطلبة حول كتاباته وغيرهما من قادة الإرهاب وعتاته.

ج) أمّا عن الكتب التي تدرس في هذا النوع من التعليم فهي على غاية من الغرابة لمّا نضعها بجانب الوسائل الحديثة ومن بينها الأجروميّة وهي متن في النحو والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين وهو تأليف في العقيدة والفقه والتصوّف وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني وهي منظومة في علم الكلام والسلم المنورق في علم المنطق وهو عبارة عن أرجوزة في نظم إيساغوجي للشيخ عبد الرحمان الأخضري وغيرها من الكتب المومياوات التي لا تصلح اليوم إلا بوضعها في المتاحف.

والغريب في الأمر أنّ وزارة الشؤون الدينيّة تساهم في نشر هذا النوع من التعليم الموازي عن طريق الكتاتيب التي بلغ عددها 1612 حسب آخر إحصائيّة منشورة على صفحة الوزارة، هذه الكتاتيب توازي رياض الأطفال وهم في مرحلة ما قبل الدراسة الأمر الذي يستوجب تكوينا خاصا للمربّين غير أن الوزارة تكتفي بشروط لا تأخذ في الحسبان حساسيّة المرحلة العمريّة التي يمرّ بها الطفل كالنصّ على أن لا يقلّ المستوى التعليمي للمؤدّب عن الخامسة ثانوي وأن يكون حافظا لستة أحزاب من القرآن فقط ويمكنه الاستعانة بأحد محارمه للقيام بشؤون الأطفال!!!، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

هوامش

1) "مذكرات رقيب كتب، من التعليم الديني إلى مواجهة النهضة واليسار الإسلامي" أنس الشابي، أركاديا للنشر والتوزيع، تونس 2024، فصل عن الجامعة الزيتونيّة ص35 وما بعدها.

2) "السرقات الأدبيّة في تونس بعد الاستقلال" أنس الشابي، خريف للنشر، تونس 2023، ص288 وما بعدها.

3) جريدة الصباح بتاريخ 10 فيفري 1961.

4) جريدة الفجر بتاريخ 12 ماي 1990 ص18.

5) السرقات الأدبيّة ص232 وما بعدها.

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ «التونسية للأوراق المالية» :

TPR الأكثر تداولا، SOTEMAIL الأفضل أداء وUADH تتراجع

منحى السوق

- في ظل سوق محدودة الدينامية أنهت بورصة تونس للأوراق المالية نشاطها خلال الأسبوع الممتد من 16 إلى 20 سبتمبر 2024 على شبه استقرار مقفلة عند النقطة 9785,87 فيما استقرّ أداء المؤشر المرجعي عند + 12,9 ٪ منذ بداية العام.

- على صعيد التداولات وفي غياب تبادلات بالكتل كان الحجم متواضعا بـ 16 مليون دينار بما مثّل معدلا يوميّا بـ 3,2 ملايين دينار. وقد كان سهم TPR الأكثر تداولا على امتداد الأسبوع المذكور محتكرا 94,6 ٪ من الحجم الإجمالي للتداولات حسب تحليل الوسيط الرسمي لبورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطور الأسهم

- احتل سهم الشركة التونسية للتلا SOTEMAIL صدارة الترتيب بتحقيق أفضل أداء مسجلا قفزة بـ + 11,7 ٪ بسعر 1,150 دينار وسط مدّ شبه منعدم.

- كان سهم الشركة العقارية التونسية السعودية SITS من أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور مسجلا ارتفاعا بـ 8,9 ٪ بسعر 1,960 دينار وسط مدّ زهيد بـ 3 ملايين دينار على امتداد الأسبوع.

- كان سهم الشركة العالمية لتوزيع السيارات القابضة UADH أكبر الخاسرين مسجلا تراجعا بـ - 8,3 ٪ بسعر 0,440 دينار وسط حجم تداول بـ 10 آلاف دينار.

- بجمعه أكبر حجم من الأموال بلغ 15,1 مليون دينار كان سهم TPR نجم الأسبوع واحتكر لوحده 94,6 ٪ من الحجم الإجمالي المتداول بالسوق وحافظ

سعره على استقراره في حدود 5,620 دينار.

مستجدّات السوق

- شركة اسمنت قرطاج CARTHAGE CEMENT : القوائم المالية السداسية :

مع نهاية السداسي الأول حققت شركة اسمنت قرطاج حصة صافي ربح بـ 35,5 مليون دينار مسجلة بذلك ارتفاعا بـ 48 ٪ مقارنة بشهر جوان 2023. وخلال النصف الأول من العام الجاري لم يتطور رقم معاملات الشركة سوى بـ 2 ٪ وبلغ 213 مليون دينار. وبخصوص انتاج الاسمنت تمكنت الشركة من الترفيع في مداخيلها بـ 3,5 ٪ وذلك رغم تراجع عائداتها من التصدير بـ 30 ٪ نتيجة أساسا قرار الشركة بتعليق تصدير الـ CLINKER.

أما على صعيد السوق الداخلية فقط سجل رقم معاملات الشركة ارتفاعا بـ 10 ٪ وتمكنت من المحافظة على حصة جملية فيه بـ 26 ٪. وقد ارتفع هامش EBITDA للشركة بـ 13 ٪ بحجم 82,8 مليون دينار لترتفع بذلك نسبة هامش EBITDA للشركة من 3,7 نقاط الى 38,9 ٪.

- سيتي كار CITY CARS : القوائم المالية السداسية :

شهد رقم معاملات شركة سيتي كار CITY CARS وكيل الماركة الجنوب كورية للسيارات مع نهاية السداسي الأول من العام الجاري تراجعا بـ 6,3 ٪ ليستقر عند 135,2 مليون دينار وذلك نتيجة تراجع المبيعات خلال الثلاثي الثاني بسبب اختلال في برنامج التزوّد بسيارات جديدة. وشهدت نتيجة الاستغلال لدى الشركة انخفاضا بـ - 37,6 ٪ بحجم 10,6 ملايين دينار. وقد بلغت حصة صافي الربح لسيتي كار 10,1 ملايين دينار مقابل 15 مليون دينار في شهر جوان 2023 بما مثل تراجعا بـ - 32,6 ٪.

إشهار

عامر بحبة الباحث في المخاطر الطبيعية لـ «الشارع المغاربي» :

الفيضانات والجفاف أبرز المخاطر المتربّصة ببلادنا

حاوره: محمد الجلالي

أفاد عامر بحبة الباحث في المخاطر الطبيعية بأن عديد الاحياء التي تم بناؤها قبل عقود على حافة الاودية بأكثر من ولاية مهدّدة في كل لحظة نتيجة سيلان الاودية خلال الفيضانات مشدّدا على أن ذلك قد يتسبب في حدوث كوارث معتبرا في سياق آخر ان شبكات تصريف مياه الامطار داخل المدن تمثل تحدّيا كبيرا.

وأضاف الخبير ان تونس من بين الدول الاكثر تأثرا بتغير المناخ وبموجات الحر الشديدة والجفاف بشكل غير مسبوق رغم انها لا تساهم الا بنسبة 0.07 بالمائة في انبعاث غاز ثاني اكسيد الكربون.

ولاحظ الباحث في المخاطر الطبيعية في حواره مع أسبوعية "الشارع المغاربي" أن بلادنا تشهد سنويا بين 20 و40 رجة أرضية معتبرا ان ذلك العدد قد يبدو للوهلة الاولى مرتفعا وأنه لا يشكّل في المقابل خطورة باعتبار ضعف الهزات لافتا في المقابل إلى أن تسجيل هزّات بقوة 5 درجات داخل بعض المدن امر خطير بالنظر لوجود عديد البنايات الآيلة للسقوط.

التساقطات التي تشهدها بلادنا خلال الآونة الأخيرة هل هي عادية أم ناتجة عن تغيّر المناخ؟

هي امطار عادية باعتبار ان تونس تعرف سنويا خلال بداية الخريف هطول كميات هامة من الغيث النافع وهي ليست المرة الاولى التي نعيش فيها على وقع أمطار غزيرة في هذه الفترة من السنة. ثم إن أشهر الفيضانات التي شهدتها بلادنا كانت خلال شهر سبتمبر مع العلم ان جهات مثل سوسة وهرقلة والمهدية والمنستير ونابل والقيروان كانت خلال اليومين الاخيرين على موعد مع كميات هامة من الامطار تجاوزت حتى 50 مليمترا.

الى أي مدى تُعتبر التدابير التي اتخذتها السلطات لمجابهة الكوارث كافية للتقليص من الخسائر البشرية والمادية الناجمة عن تهاطل الأمطار؟

لا يخفى على أحد ان هناك لجانا جهوية لمجابهة الكوارث موجودة في كل الولايات. وقد تدخّل بعضها لتعليق الدروس في صفاقس وقفصة وسوسة لتفادي حدوث أضرار بشرية عند رصد ارتفاع منسوب التساقطات. كما نلاحظ تدخل ادارات مثل الحماية المدنية أو الولايات لإصدار بلاغات تحذيرية ولكن التهاطلات قد تفاجئ الجميع بغزارتها وقوتها غير المتوقعّة.. وحين تطالعنا صور وفيديوهات لمواطنين يحاولون اجتياز الاودية الجارفة سواء مترجلين أو على متن سياراتهم فإن ذلك يمثل مشكلا خطيرا قد يودي بحياتهم. يُفترض انه من باب الاحتياط الا يجازف الناس بعبور الاودية خلال تهاطل الغيث النافع بكميات وافرة أو التواجد بأماكن قد تشكل خطرا عليهم حينها... الدولة بمختلف مؤسساتها تتحمل مسؤولية

توعية الناس واحاطتهم بالمعلومة الحينية بخصوص تقلبات الطقس ولكن على المواطن أيضا ملازمة الحذر وتفادي المجازفة مع التقيد بالتحذيرات الصادرة عن المؤسسات الرسمية.. وحتى في صورة توفر التحذيرات قد يفاجئ الجميع بنزول كميات كبيرة جدا من الغيث النافع على غرار ما حدث في ولاية سوسة خلال سنتي 2016 و2020 وفي نابل سنة 2018 مما يؤدي الى وقوع فيضانات عارمة قد تغمر الشوارع وتقتحم البيوت مخلفة أضرارا بشرية ومادية. هنا لا مناص من التذكير بأن عديد الاحياء التي تم بناؤها قبل عقود على حافة الاودية بأكثر من ولاية تبقى مهددة في كل لحظة نتيجة سيلان الاودية خلال الفيضانات بما قد يتسبب في كوارث.

كيف تُقيّم جاهزية البنية التحتية ببلادنا للاستفادة من التهاطلات وتحويلها الى مياه للشرب او للري؟

لا يمكن انكار اهمية شبكة السدود والبحيرات الجبلية الموزعة في عدة ولايات والتي تتيح لنا التحكم في مياه الأمطار بنسبة تتجاوز 95 بالمائة إضافة الى السدود الاخرى التي في طور الانجاز على غرار سد ملاق العلوي.. عموما المناخ الذي يميّز بلادنا يترواح بين اربع أو خمس سنوات جافة تليها سنة ممطرة وهكذا دواليك.. وهذا لا يُخفي افتقار ولايات مثل القصرين لسدود كفيلة بالتحكم في مياه الأمطار. كما توجد سدود اخرى معروفة بالـ "السدود الخزّانات" وهي موجودة في منوبة وسوسة ومرتبطة بسيلان الاودية بل تتم تعبئتها بمياه فائضة تم جلبها من سدود أخرى. على مستوى البنية التحتية هناك مجهودات لا يمكن انكارها ولكن شبكات تصريف مياه الامطار داخل المدن تمثل في المقابل مشكلا كبيرا بما ان قنواتها عادة ما تكون مسدودة بالتربة والأوساخ بما يعرقل عملية تصريف المياه. وهي تعتمد على قنوات ضيقة (قُطرها لا يتعدى المتر) وغير قادرة على استيعاب كميات كبيرة من المياه فضلا عن غياب هذه الشبكات عن عديد الاحياء وحتى المدن.

مناخيا ما ابرز المخاطر التي تهدد تونس؟

الفيضانات والجفاف هي أبرز المخاطر التي تتربّص ببلادنا. بالنسبة للفيضانات تحدث بصفة دورية ببلادنا وهي ناتجة عن تهاطل كميات كبيرة من الامطار وفيضان الاودية.

هذا الامر قد يشكل خطرا جسيما بإمكانه أن يخلّف خسائر بشرية ومادية كبيرة اذا حدث داخل المدن على غرار ما حصل سنة 2003 في تونس العاصمة او سنة 2018 بنابل أو سنوات 2009 و2016 و2020 بالساحل. واللافت انه كلما كانت الفيضانات سريعة وفي وقت وجيز FLASH FLOODS كلما كانت الخسائر فادحة. اما في ما يتعلق بالجفاف فقد عشنا على وقعه خلال السنوات الخمس الاخيرة وأثّر على وضعية مياه الشرب والري وساهم في تراجع نسبة امتلاء السدود التي اصبحت اليوم في حدود 22 بالمائة وما انجر عن ذلك من تذبذب في التزويد بمياه الشرب وحتى مياه الري.. ندرة المياه مشكل عويص وهو ليس بالجديد. يكفي فقط التمعن في الحضارات التي تعاقبت على بلادنا للوقوف على الطرق والتقنيات التقليدية التي اعتمدها أسلافنا لتخزين المياه في مواجن وفسقيات وجسور جبلية. فالإنسان لجأ قبل حوالي 2000 سنة الى مختلف تلك الوسائل للتأقلم مع شح المياه ببلادنا. لذلك لا مفر من استغلال السدود والبحيرات والآبار اضافة الى تحلية مياه البحر للتخفيف من حدة الجفاف.

هل تكفي التدابير التي اتخذتها الدولة لمجابهة الجفاف؟

قد تكون تلك التدابير كافية بنسبة 100 بالمائة ولكن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ان الاستثمار العمومي يرتبط أساسا بمخططات تنموية قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى وأنه يبقى رهين توفر التمويلات خاصة ان بلادنا تمرّ منذ أكثر من 10 سنوات بأوضاع مالية صعبة واكبر مثال على ذلك ان محطة تحلية مياه البحر بسوسة تعطّلت بسبب عدم خلاص المقاول المشرف على الأشغال.

هل صحيح ان تونس التي تعد من أكثر الدول تضررا من تغير المناخ ساهمت عبر سياساتها العمومية في تعميق أزمتها المناخية؟

هناك جدل كبير في العالم حول العوامل التي تتسبّب في الاحتباس الحراري وفي تغير المناخ بين من يعتبر ذلك نتيجة تغير طبيعي يحدث بشكل دوري وبين من يحمّل الانسان عبر انشطته الصناعية مسؤولية هذه التغير. المدافعون عن الاطروحة الاولى يرتكزون على دراسات تؤكد ان العالم مر قبل الاف السنين بفترات مناخية باردة واخرى حارة وثالثة جليدية رغم عدم وجود الانسان في تلك الحقبات ولكن فرضية مساهمة الانشطة البشرية الملوثة للبيئة في تسارع وتيرة تغيّر المناخ تبقى واردة جدا. محليا تؤكد الارقام ان تونس لا تساهم الا بـ 0.07 بالمائة في الانبعاثات الغازية حول العالم وهي نسبة ضئيلة جدا ولكن بلادنا تبقى من الدول الاكثر تأثرا بتغير المناخ وبموجات الحر الشديدة والجفاف بشكل غير مسبوق.. على كل يبقى الحل بيد الدول التي تساهم بشكل كبير في انبعاثات غاز ثاني اكسيد الكربون وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا والصين التي تتخذ خلال قمم الأرض والمناخ المتتالية قرارات بالتخفيض في الانبعاثات دون ان تسعى الى تجسيمها على أرض الواقع مبجّلة الجانب الاقتصادي على الاعتبارات البيئية.. وكنتيجة لذلك تكون الدول الاكثر هشاشة ومنها تونس أكثر عرضة للتأثر بالفيضانات او الجفاف.. وأكبر مثال على ذلك ان نزول امطار بكميات ليست قياسية تتسبب في حدوث فيضانات ببلادنا.

> **الفيضانات تهدّد الأحياء المحاذية للاودية**
>
> **شبكات تصريف مياه الامطار تمثّل مشكلا كبيرا**
>
> **نُدرة المياه تحدّ عويص ليس بالجديد**
>
> **اجدادنا تعاملوا مع الجفاف بتخزين المياه في مواجن وفسقيات وجسور جبلية**

بعد الهزات الأرضية التي شهدتها تونس مؤخرا، الى أي مدى تعد بلادنا عرضة للزلازل؟

الملاحظ ان أغلب الرجّات الأرضية التي تم تسجيلها ببلادنا كانت بقوة تتراوح بين درجتين و4 درجات. عدا ذلك تبقى الهزات الارضية التي تتجاوز قوتها 5 درجات نادرة الحدوث. عموما بلادنا تشهد سنويا بين 20 و40 رجة أرضية وهو عدد قد يبدو للوهلة الاولى مرتفعا لكنه لا يشكل خطورة باعتبار ضعف قوة تلك الهزات مع الملاحظة ان الهزّات التي تفوق قوتها 5 درجات تكون خطيرة اذا تم تسجيلها داخل المدن التي فيها بنايات آيلة للسقوط مع العلم أن أكثر المناطق عرضة للتأثر بزلازل من هذا القبيل هي المدن الواقعة على حافة وادي مجردة انطلاقا من ولاية جندوبة في اتجاه العاصمة تونس. ولو حدث زلزال بقوة 6 درجات في المدينة العتيقة بتونس لا قدّر الله لتسبب في كارثة بسبب وجود بنايات كثيرة متداعية وقديمة.. الحمد لله ان تسجيل زلزال بتلك القوة في بلادنا يبقى نادرا جدا. عموما بلادنا في منأى عن تسجيل هزّات أرضية قوية باعتبار بعدها عن صفائح ذات نشاط زلزالي.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل ڤويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

الوجه الآخر لتفجيرات «البيجر» في لبنان وسوريا :

إسرائيل تُعَوْلِمْ الإرهاب

الحبيب القيزاني

نقل أحد الضحايا الى المستشفى

بعيدا عن الروايات التي قدمتها الصحافة الغربية عموما عن الهجوم التكنوسبيراني الذي شنته إسرائيل على حزب الله عبر تفجير مئات من أجهزة "البيجر" المفخخة والى جانب حقيقة وقوع قيادات الحزب في فخّ محكم الاعداد يتضح أن الكيان المارق أدخل العالم في حقبة الإرهاب المعولم. إرهاب يمكن أن يضرب حتى حلفائه اذا خرجوا عن سكة الولاء الاعمى لسياساته.

ذلك أن الحدث يطرح أكثر من سؤال ويوجّه أكثر من تحذير لكل دول وحكومات العالم لعل أوّلها التذكير بأنه لا حدود لجرائم إسرائيل ضد كل من يتحدى مصالحها الاستعمارية.

فبعد ما حدث أية دولة يمكنها الاطمئنان الى أن وارداتها من السلع المصنعة في إسرائيل ليست سلاحا ذي حدين : سلاح الربح الاقتصادي ولكنها أيضا سلاح قابل للاستعمال في صراعات مستقبلية؟

لقد باتت اية سلعة مصنعة من طرف هذا الكيان عبارة عن قنبلة موقوتة يمكن تفجيرها عن بعد عندما يتطلب الامر ذلك دون اعتبار الأضرار التي ستلحق بالمدنيين.

الأخطر من ذلك انه سيكون على اية دولة تعادي الكيان المحتل العنصري التثبت من مصدر سلعها الأول لأنه من المعروف أن الإسرائيليين يتجنبون ذكر علامة "صنع في إسرائيل" حتى لا يعيقوا حركة التصدير، بل انه سيتوجب على الدول التثبت مما اذا كان المصنع أو الشركة التي تستورد منه سلعها المصنعة لا يتخفى تحت جنسية الدولة المتمركز بها تسهيلا لتصدير سلع هي في الحقيقة إسرائيلية.

لن نخوض في عنصرية الجريمة التي ارتكبها النظام الصهيوني لأن ذلك من أبجديات قاموس وجودها ولنكتف بتذكير ساقته صحيفة "الغارديان" البريطانية أشارت فيه الى وجود معاهدة دولية وقّعت عليها إسرائيل "تمنع تحت أي ظرف استعمال فخاخ أو أية أشياء أخرى محمولة وظاهريا غير مضرة وتكون معدة ومصنوعة لحمل مواد متفجرة".

ولأنها أدركت هذا الأمر لم تتردد بترا دوسوتر نائبة الوزير الأول البلجيكي في ادانة "الهجوم الإرهابي الواسع النطاق" على لبنان وسوريا بينما جاء في بلاغ صادر عن الممثل السامي لحقوق الانسان بالأمم المتحدة أن الهجوم "يخرق القانون الدولي بخصوص حقوق الانسان".

تفجير أجهزة "البيجر" بلبنان وسوريا اثار أيضا انشغال عدة دول ودوائر عالمية بخصوص سلامة سلسلات التزويد في العالم. فاذا كانت إسرائيل قد شرعت فعليا في عسكرة أجهزة مخصصة للاستعمال المدني وذلك عن طريق اطراف خارجية فإن من شأن ذلك اثارة مخاوف وعدم الثقة مستقبلا في سلسلات التوزيع العالمية باعتبار أنه أصبح بالإمكان توظيفها بل وحتى توريطها في أعمال دنيئة.

ففي حوار أجرته مع قناة India Today TV، عبر أحد المختصين في عالم التكنولوجيا عن خوفه من أن تؤدي جريمة إسرائيل في لبنان وسوريا الى مخاطر مماثلة في بلدان أخرى بما يفتح الباب أمام دخول أجهزة الكترونية مفخخة الى منازل آلاف العائلات في العالم.

ان لتبعات الجريمة الصهيونية ابعادا كبرى. ذلك أنها تؤشر على ميلاد مستوى جديد من المخاطر بالنسبة للتجارة العالمية وعلى أنه يمكن مستقبلا تصنيع أجهزة مخصصة للاستعمال المدني بشكل يسمح بتوظيفها لأغراض سياسية أو عسكرية ليتحول بذلك أي صراع بين دولة وأخرى الى خطر داهم يهدد المواطنين أجمعين.

عديد الخبراء أشاروا الى إمكانية تراجع ثقة الدول في الأجهزة التكنولوجية الحديثة

ما تبقى من جهاز "بيجر" بعد تفجيره عن بعد

وذكروا في هذا الشأن بفضيحة "بيغاسوس" وتجسس إسرائيل على زعماء العالم وتحدثوا عن "أبواب ونوافذ سرية" وعن برمجيات للتجسس" تدرجها الصناعات التكنولوجية الإسرائيلية بأجهزة مختلفة للاطلاع على أسرار الدول والشخصيات الأخرى.

ولاحظ هؤلاء ان إسرائيل تتبجح اليوم بانجازها في لبنان وسوريا وانها قد لا تكتشف الورطة الاستراتيجية التي وقعت فيها الا بعد فوات الأوان مؤكدين ان الدول تدرك جيدا ان العديد من الشركات التكنولوجية العابرة للقارات على ملك يهود وأنه لم يعد لهم ثقة في منتوجاتها.

الأكيد أن العالم يجد نفسه بعد الجريمة الإسرائيلية أمام مستقبل لا تكون في ظله كل أجهزة الاتصال والاكسسوارات الالكترونية أو حتى أية بنية تحتية تكنولوجية في منأى عن التخريب والتسبب في مقتل أبرياء.

صحيح أن نتنياهو قال منذ سنوات إن بلاده تملك أقوى سلاح في العالم في إشارة ربما الى غزوة تكنولوجية تجعل بلاده قادرة على التحكم في اية سلعة مصنعة واستعمالها لأغراض غير الأغراض التجارية. لكن من بعد ما حدث في لبنان وسوريا بإمكانه أن يأمن على حياته اذا استقل طائرة أو سافر على متن باخرة أو استورد أجهزة لشركته أو حتى اقتنى هاتفا جوالا جديدا؟

حصار نووي

موقع «الشبكة العالمية» نقل عن إذاعة Radio Show التابعة لصاحبها Hal Turner أن ثلاث غواصات روسية من طراز «Yasen» مزودة بصواريخ نووية فرطصوتية من نوع «زركون» Zircon غادرت يوم 12 سبتمبر الجاري ميناء Severomorsk التابع لأسطول الشمال في اتجاه مياه المحيط الأطلسي.

الإذاعة المذكورة نقلت عن خبير عسكري روسي يدعى ميخائيل خودارنوك تأكيده أن تحرك الغواصات الثلاث تزامن مع صدور تصريحات عن زعماء دول غربية أكدوا فيها نيتهم السماح لأوكرانيا باستعمال أسلحة بعيدة المدى أمدّوها بها لضرب منشآت عسكرية داخل العمق الروسي.

وحسب نفس المصدر عبّر خودارنوك عن ثقته في وصول الغواصات الثلاث الى قبالة سواحل انقلترا وإشارته الى أنها «تنتظر صدور أمر اليها للهجوم».

ولاحظ الخبير أن ابحار الغواصات في اتجاه سواحل انقلترا تم يوم مغادرة رئيس وزراء بريطانيا البلاد للاجتماع بالرئيس الأمريكي جو بايدن لنظر في مسألة السماح لأوكرانيا بقصف العمق الروسي.

وأكد الخبير – دائما وفق نفس المصدر – انه اذا انطلقت صواريخ ستورم شادو الانقليزية التي أمدّت بها لندن كييف في اتجاه الأراضي الروسية ستدمّر صواريخ الغواصات الثلاث منشآت الفرع الانقليزي التابع للشركة الأوروبية MBDA التي تنتج أنظمة تشغيل وتوجيه الصواريخ متوسطة المدى لافتا الى أن القصف سيطال منشآت الشركة بكل من مدن Stevanage , و Bristol و Bolton بانقلترا.

واعتمادا على مصادره بوزارة الدفاع الروسية أكد خودارينوك أن لدى موسكو مخططا واضح لردع الحلف الأطلسي عن توجيه ضربات انتقامية لبلاده في صورة استهدفت الغواصات المنشآت المذكورة.

وتابع : «أنا على يقين بأن الانقليز سيدركون بعد ذلك أن الوقت حان بالنسبة اليهم لوضع حدّ لتأجيج الحرب الدائرة بأوكرانيا لأنه في صورة تماديهم في ذلك سيرون في المرة القادمة قدرتنا وتصميمنا على توجيه ضربات نووية للندن وبروكسيل (مقر الحلف الأطلسي ببلجيكا) وواشنطن.

مليونان و389 جنديا !

في خطوة اعتبرها عديد الملاحظين الدوليين صادمة وغير منتظرة بالمرة وقع الرئيس الروسي بوتين على قرار للترفيع في عدد القوات المسلحة ببلاده الى مليونين و389 جنديا.

وكانت تقارير واردة من موسكو قد أشارت قبل ذلك الى أن الكرملين يتوجه نحو زيادة بـ 150 ألف جندي ليبلغ عدد أفراد القوات المسلحة الروسية مليون و500 ألف جندي.

يشار الى أن الـ 15 دولة التي تملك أضخم الجيوش عددا قبل قرار بوتين الجديد كانت :

الصين : مليونا جندي
الهند : مليون و450 ألف جندي.
الولايات المتحدة الأمريكية : مليون و390 ألف جندي.
كوريا الشمالية : مليون و200 ألف جندي.
روسيا 850 ألف جندي.
باكستان : 640 ألف جندي.
ايران : 575 ألف جندي.
كوريا الجنوبية : 555 ألف جندي.
فيتنام : 470 ألف جندي.
مصر : 450 ألف جندي.
تركيا : 425 ألف جندي.

ميانمار : 400 ألف جندي.
أندونيسيا : 400 ألف جندي.
البرازيل : 360 ألف جندي.
تايلاندا : 350 ألف جندي.

مرتزقة من نوع خاص

صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية كشفت في عددها الصادر بتاريخ 15 سبتمبر الجاري أن حكومة نتنياهو تقوم بانتداب طالبي اللجوء من دول افريقية للمشاركة في محاربة المقاومة الفلسطينية بقطاع غزة.

الصحيفة أوضحت أن «قوات الأمن الإسرائيلية توظف طالبي اللجوء القادمين من افريقيا في مجهود الحرب التي يشنها الجيش على فصائل المقاومة بقطاع غزة وذلك مجازفة بحياتهم مقابل مساعدتهم على الحصول على حق إقامة دائمة بإسرائيل والذي لا يمكنهم من امتلاك المواطنة الإسرائيلية».

«هآرتس» أضافت أنه لم يتم الى حدّ الآن اسناد حق الإقامة لأيّ من طالبي اللجوء الأفارقة الذين شاركوا في الحرب بغزة مشيرة الى أن «نحو 30 ألف طالب لجوء افريقي يعيشون في إسرائيل أغلبهم من الشباب ومن بينهم نحو 3500 سوداني يتمتعون بحق إقامة وقتي حصلوا عليه في غياب قرار نهائي حول طلب اللجوء الى إسرائيل».

وكانت وزارة الخارجية بدولة جنوب افريقيا قد أعلنت يوم 18 ديسمبر 2023 عن «انشغال حكومة بلادها الشديد إزاء اخبار تفيد بأن بعض مواطني البلاد التحقوا أو يفكرون في الالتحاق بقوات الجيش الإسرائيلي في حربه على قطاع غزة والأراضي الفلسطينية المحتلة».

وحذّرت الوزارة من أن «يساهم عمل مماثل في خرق القانون الدولي وفي ارتكاب مزيد من الجرائم الدولية بما يسهل تتبّع مواطني البلاد الذين التحقوا بصفوف الجيش الإسرائيلي وتعرضهم الى العقاب».

دعوة

موقع «الشبكة العالمية» كشف ان الصيرفي ورئيس الحكومة الإيطالية السابق ماريو دراغي أودع يوم 9 سبتمبر الجاري تقريرا له حول «مستقبل التنافسية الأوروبية» دعا فيه الى اسناد مهمة بناء أوروبا الى أصحاب البنوك.

دراغي أشار في تقريره الى محدودية إمكانات الاستثمار في دول الاتحاد الأوروبي (32 ٪ من الناتج المحلي الخام) مقارنة بالولايات المتحدة الامريكية (142 ٪ من الناتج المحلي الاجمالي) مرجعا سبب ذلك الى تواصل التعامل بنظام تقاعد مشتت بين القطاعين العمومي والخاص (ما عدا هولندا والدنمارك والسويد) وأوصى باعتماد أنظمة تقاعد خاصة في مجمل دول الاتحاد الأوروبي بذريعة تجميع رؤوس الأموال وتوجيهها نحو الأسواق المالية.

وأكد دراغي على ضرورة تحويل هيئة الأسواق المالية الأوروبية الى منظم أساسي ووحيد على شاكلة هيئة الأوراق المالية والبورصات بأمريكا معتبرا ان من المرحل الجوهرية للقيام بذلك تغيير طريقة حوكمة هيئة الأسواق المالية الأوروبية وعملية اتخاذ القرارات حتى تتوافق مع تلك المعمول بها من طرف مجلس محافظي البنك المركزي الأوروبي وذلك عبر فصلها قدر المستطاع عن المصالح الوطنية لدول الاتحاد الأوروبي.

كما دعا دراغي الى انعاش سوق التعيير من أجل زيادة القدرة على تمويل البنوك مطالبا المفوضية الأوروبية باقتراح مراجعة متطلبات الحذر في ما يتعلق بتسعير الأصول.

الموقع اعتبر ان تقرير دراغي يمتدح في النهاية تداين دول الاتحاد الأوروبي لدى ما أسماه «لوبي المال».

«لا» صربية

«هل سترفض صربيا في نهاية الامر الانضمام للاتحاد الأوروبي؟ الأكيد ان تصريحات نائب الوزير الأول الصربي الكسندر فولن خلال حوار اجراه معه موقع Vecherne Novosti لن تروق لأورسولا فان دير لاين».

هكذا تساءل موقع Media-Presse Info ناقلا عن نائب الوزير الأول الصربي تأكيده أن بلاده لن تنضم الى الاتحاد الأوروبي اذا كان ضمن شروط ذلك الاعتراف بإقليم كوسوفو والموافقة على زواج المثليين ببعضهم أو المشاركة في صراع الغرب ضد روسيا والصين.

وردّا على سؤال حول ما اذا كان شراء بلاده أنظمة دفاع جوّي صينية وروسية يعني توجه بلغراد نحو الانضمام الى مجموعة دول «بريكس» أوضح فولن ان الامر «يتعلق بقرار عسكري عمليّ وليس بقرار سياسي» مضيفا : «نحن نحمي أجواء بلادنا بطائرات «رافال» الفرنسية وبطائرات «ميغ» روسية».

يشار الى ان صربيا تتمتع بصفة مترشح للانضمام الى الاتحاد الأوروبي منذ عام 2012، وفي هذا الصدد قال فولن : «لقد قدمت بلادنا ما يكفي من البراهين للانضمام الى الاتحاد الأوروبي لكن يبدو أن ذلك غير كاف» مضيفا : «اذا كان المطلوب منّا في نهاية الأمر هو الاعتراف بشيء اسمه كوسوف والتزامنا بالترخيص في زيجات المثليين أو المشاركة الى جانب الغرب في حرب ضد روسيا والصين فلا يجب علينا السير في هذه الطريق».

قرب حدود روسيا الشرقية

موقع المنظمة الامريكية المتخصصة في الاخبار العسكرية Stars and Stripes (نجوم ورتب) كشف ان البنتاغون نشر عدة وحدات محمولة جوا بجزيرة «شيما» Sheyma الموجودة بعرض ساحل ولاية آلسكا والقريبة من حدود روسيا الشرقية مزودة بأنظمة صواريخ «هيمارس».

المنظمة أوضحت أن 130 جنديا حطّوا الرحال بالجزيرة المذكورة ردا على المناورات الجوية والبحرية الروسية-الصينية التي انتظمت مؤخرا بمنطقة القطب الشمالي.

ونقلت المنظمة عن الجنرال جوزيف هيلبار قائد الفرقة المحمولة جوّا رقم 11 قوله أن العملية تأتي في سياق اظهار قدرة الجيش الأمريكي على مواجهة الأحداث بالمحيطين الهندي والهادئ (بحر اليابان) بقوة ضاربة قادرة على التدخل خلال ساعات على حدّ تعبيره.

وحسب موقع المنظمة توظف القوة القضائية الامريكية رادارا بعيد المدى بقاعدة Eareckson الموجودة بجزيرة «شيما» وهو رادار مخصص لرصد ومراقبة تجارب روسيا والصين على صواريخ عابرة للقارات.

إلى متى ستلتزم ايران وحزب الله بـ«الصبر الاستراتيجي»؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

إن رد «حزب الله» الذي كان نتنياهو يأمل فيه لن يحدث، ولن يكون هناك هجوم واسع النطاق على البنية التحتية الإسرائيلية بآلاف الصواريخ، والذي من شأنه أن يؤدي إلى كارثة إنسانية في البلاد ويسمح لنتنياهو بالتحول إلى الأسلحة النووية أو إجبار الولايات المتحدة على خوض الحرب دفاعا عن إسرائيل.

إن رد فعل «حزب الله» المنضبط للغاية على الاستفزازات الإسرائيلية واسعة النطاق بتفجير أجهزة الاستدعاء «البيجر» وقتل أعضاء قيادة الحزب يشير إلى أن قيادة إيران و«حزب الله» يتفهمان الوضع ويلتزمان بشدة بتكتيكات الصبر الاستراتيجي، وهو ما يعني أنه مهما فعلت إسرائيل، فإن هذا الخط لن يتغير في الأشهر المقبلة، وحتى الانتخابات الرئاسية الأمريكية على أقل تقدير.

يصعب عليّ أن أتخيل ما يمكن أن يفعل نتنياهو في لبنان لإجبار «حزب الله» على تغيير مساره وتنفيذ مخططاته، سوى احتمال اغتيال حسن نصر الله مثلا، والذي يمكن أن يكون الشيء الوحيد الذي قد ينظر إليه الرأي العام الغربي على نحو إيجابي. إلا أن «حزب الله» لا يرد على مثل هذه التصرفات الآن. في الوقت نفسه، فإن قصف لبنان واسع النطاق أو الغزو البري الإسرائيلي للبلاد، أولا، سيجعل من «حزب الله» ضحية، وثانيا، سيكون عملية طويلة جدا بنتائج غير واضحة، بينما يحتاج نتنياهو إلى استغلال الوقت قبل الانتخابات الأمريكية.

أولا، يود نتنياهو أن يرى ترامب رئيسا، فالحرب الكبرى في الشرق الأوسط تضر بفرص هاريس. ثانيا، ترامب عدواني بالكلمات فقط، وتورطه في حرب الشرق الأوسط يجب أن يكون موروثا عن الإدارة السابقة. وثالثا، ينطبق هذا بشكل أكبر على كامالا هاريس إذا تم انتخابها، لأنها تعتمد على الناخبين الملونين المؤيدين للفلسطينيين، وقد لا تدعم إسرائيل. رابعا، إسرائيل تخسر حرب الاستنزاف، وهو أحد الأسباب الرئيسية لتصعيد نتنياهو والتزام محور المقاومة بالصبر الاستراتيجي.

خلاصة الأمر أن نتنياهو يريد توريط الولايات المتحدة في الحرب، ولهذا يجب على إسرائيل أن تخسر المرحلة الأولى من الحرب أمام «حزب الله» بنتائج كارثية. ولكي ينتصر «حزب الله» يكفي أن يستمر كل شيء كما هو، وربما يضيف هجمات من حين لآخر على الموانئ والسفن الإسرائيلية في البحر الأبيض المتوسط، لكن حتى لا يبدو الأمر وكأنه هجوم واسع النطاق. أي القيام بما يفعل الحوثيون، وهي نوعية الحرب الأكثر فعالية لمحور المقاومة. على العكس من ذلك، فإن رد فعل «حزب الله» واسع النطاق قد يؤدي إلى الهزيمة.

لذلك أعتقد أنه لن يكون هناك غزو بري إسرائيلي للبنان. أو بالأحرى فإن كل شيء ممكن إلا أن هذا الإجراء يتناقض مع منطق الخطة التي أنسبها لنتنياهو. الغزو يمكن أن يحدث فقط كبادرة يأس أخيرة إذا انهارت جميع خططه.

لكن نتنياهو رجل مثابر، وأعتقد أنه بعد اقتناعه بأن «حزب الله» لا يرد على هجماته، سيقوم باستفزازات جديدة ضد إيران نفسها، ويجب أن تتجاوز كل ما رأيناه من قبل. ربما سيكون ذلك بهجوم سيبراني شامل، من شأنه أن يشلّ اقتصاد البلاد و ربما اغتيال آخر للرئيس، وربما هجوم مجهول على محطة بوشهر للطاقة النووية. لا أستبعد أي شيء، وفي هذه الحالة سيتم تجميد العملية في لبنان، كما تم تجميد العملية الراهنة في غزة.

الخيار الثاني المحتمل المتبقي أمام نتنياهو هو الإبادة الجماعية الصريحة للفلسطينيين، قتل عشرات وربما مئات الآلاف من الأشخاص في فترة زمنية قصيرة، أسابيع ربما، بما في ذلك بالضفة الغربية.

لكن هذا خيار محفوف بالمخاطر، وهو ما من شأنه أن يخلق انقساما في الحزب الديمقراطي الأمريكي، وربما يغرق كامالا هاريس، لكن التكاليف في نظر الرأي العام العالمي كبيرة جدا، والاحتمال هو أن إيران ومحور المقاومة لن يردا بقوة أكبر مما سبق أن يردّا عليه في غزة.

باختصار، أسبوع آخر من عدم الرد من جانب «حزب الله» ويصبح نتنياهو في موقف الفأر المحشور في الركن، وكما هو معروف فالفأر حينها سيحاول بكل ما أوتي من طاقة فعل أي شيء.

وأعتقد أنه حتى من دون انتظار أسبوع، يمكننا التأكد من أنه لن يكون هناك رد فعل قوي من «حزب الله»، فمحور المقاومة متمسك بقوة بالصبر الاستراتيجي، مثل روسيا. ربما سيتغير الوضع بعد الانتخابات الأمريكية، لكنني لست مستعدا لضمان ذلك.

إنه الخوف على المقاومة

نبيه البرجي

آن الأوان، ومسلسل الكوارث يكسر أرواحنا، أن نرفع صوتنا لنقول اننا خائفون على المقاومة، مع ادراكنا ما أحدثته الضربات البربرية من تداعيات نفسية على القيادة، كما على القاعدة، ليبدو جليّاً أننا بحاجة الى اعادة النظر في أشياء كثيرة حين تكون الحقيقة صادمة الى ذلك الحد، مروعة الى ذلك الحد.

حقيقتنا الوحيدة الآن في عالم اللامبالاة أو في عالم التواطؤ هي الحفاظ على المقاومة لأن في ذلك حفاظا على لبنان، والحيلولة دون اخذ «الاسرائيليين» بنظرية زئيف جابوتنسكي، الذي رأى في لبنان دولة هجينة اما أن تكون تابعة لـ«اسرائيل» أو لا تكون.

علينا بين طوفان الدماء وطوفان الدموع، أن نطرح الأسئلة البديهية التي تجول في رأس كل منا. ألم تظهر لنا عملية اغتيال القائد فؤاد شكر أن العيون «الاسرائيلية»، سواء كانت عيون الكترونية أم عيونا بشرية، تلاحق قادة المقاومة خطوة خطوة ولحظة لحظة؟ في هذه الحال كيف لشخصية في أعلى الهرم العسكري، أن تعقد في ملجأ مبنى عادي اجتماعاً لعشرين قيادياً أو حتى لعشرة قياديين، للبحث وكما هو مرجح، في السيناريو الخاص بالرد الصاعق على مجزرتي الثلاثاء والأربعاء الماضيين؟

لا يمكن أن يحدث مثل ذلك، وفي أي مكان بالعالم، الا اذا كنا نريد أن نقلد مشهد بنيامين نتنياهو في قاعة محصنة حتى ضد القنبلة النووية، وهو يرأس اجتماعاً لكبار الضباط، للنظر في الجدولة العسكرية والأمنية للضربات الموجهة لحزب الله.

مثلما هو وقت الرؤوس الحامية، هو أيضاً وقت الرؤوس الباردة، للحيلولة دون أي تأثير للحالة العصبية أو النفسية في القرار، اذ ماذا كان يمنع «الاسرائيليين» الذين قتلوا فؤاد شكر في منطقة مكتظة، من أن يصلوا الى رأس ابراهيم عقيل كمثال ان في ادائه العملاني أو كمثال في أدائه الأخلاقي؟

على امتداد تلك الأشهر الطويلة، عمدت الجهات المختصة في المقاومة الى تحليل كل ظروف اغتيال ذلك العدد من القياديين، ومن مستويات مختلفة. وحسب معلوماتنا فان الاجراءات التي اتخذت حدّت الى درجة بعيدة من عمليات الاغتيال، لتكون المفاجأة بان استهداف قائد كبير كان كمقدمة لاغتيال قادة، يعتبرون النواة الصلبة للمقاومة. يبقى السؤال الذي نخشى أن تكون الاجابة عنه مثلما ورد في المعلومات المتداولة، هل كان الاجتماع للثأر لضحايا المجزرتين باقتحام الجليل، وعلى غرار ما حدث في عملية طوفان الأقصى؟

اذا كان ذلك صحيحاً، ينبغي في الحال اجراء ما يلزم للحيلولة دون التكيف مع مسلسل الضربات القاتلة، التي لم تفض فقط الى اخراج نتنياهو من عنق الزجاجة، وانما الى انتشال «اسرائيل» من الوحول التي غرقت فيها على أرض غزة، لتعود وتفرض نفسها ك«قوة لا تقهر»، ما دمنا أمام الفجيعة تلو الفجيعة على الأرض اللبنانية.

ما حدث يعني أن «الموساد»، بالتعاون الطبيعي مع الاستخبارات العسكرية، وبالتنسيق الوثيق مع أجهزة غربية وعربية، بات في عقر دارنا، ليعترينا الخوف من أن يكون الآتي أعظم، ان لم نكفكف دماءنا وليس فقط دموعنا، لنتفادى الوصول عراة الى الساعة الكبرى، بعدما تبيّن لنا هول الهوة السيبرانية مع «الاسرائيليين»، وقد اعترف بوجودها حسن نصرالله، وهو الذي أدرك تأثير ذلك في البنية البشرية (القيادية بوجه خاص) للمقاومة، كما في أدائها العملاني.

لا بد من التساؤل والحال هذه، عن الأسرار التي لا تزال عصيّة على «الاسرائيليين»، اذا علمنا كيف وصل القياديون الى مكان الاجتماع، وبالصورة التي لا يمكن لأي كان كشفها. هل عن طريق اصبع قالت لـ«الاسرائيليين»... ها هم؟

سؤال قد يثير سخط البعض، في حين يفترض أن تكون كل الاسئلة مطروحة على الطاولة. لم يعرفوا هوية القياديين فقط، قد يكونون على علم بموضوع الاجتماع أيضاً.

لن ندخل في تفاصيل يقتضي عدم الاشارة اليها. أحصنة أورشليم في أرجاء تلك الدولة، التي تضج بالأزمات البنيوية على أنواعها، لنكون في الدولة ـ اللادولة. ما على هرتسي ليفي أو دافيد بارنياع سوى هز الرأس (ولكم احترفت مجتمعاتنا هز البطن)!

رأس نتنياهو بات بعيداً في هذه الأيام فقط عن حبل المشنقة، بعدما كان على بعد قوسين منه. لعلّ القادة الفلسطينيين في غزة، وقد تحولوا الى استراتيجية الاستنزاف، يقولون لنا «لقد قمتم بما تفترض مقتضيات الأخوة، رجاء حاولوا أن تتجنبوا ما هو أعظم»...!!

السّودان : الجيش والشّعب ينتصران على قوى الشّر العالمية

صلاح بوزيّان

دبابة تابعة للجيش السوداني

لقد استطاعت القوى الصهيونية والقوى الإمبريالية والأنظمة الرّجعية العميلة وهي تشكّل مجموعة قوى الشّر العالمية أن تصنع مآسي الإنسان في بلدان العالم لفترات عديدة وقرون متتالية ، وهي التي أنشأت التيّارات المتطرّفة ونشرتها وعزّزت تواجدها وتحرّكاتها ، ودعّمت العصابات المسلّحة والحركات الانفصالية وعصابات المخدّرات وتجارة الأسلحة ومسالك التّهريب وشبكات الهجرة، وموّنت الحرب الجرثومية وغيرها من المصائب التي دمّرت ملايين البشر وأفسدت بلدانا وأرجعتها القهقرى إلى عهود التّخلف والبدائية والجوع والفقر والنّزوح والهجرة . وإن كان المقال لا يسمح بعرض كلّ النكبات والمجازر والحروب التي ساهمت هذه القوى الشيطانية في تأجيجها ، فإنّنا سنذكر المصائب الرّاهنة التي صنعتها الصهيونية القذرة. ولا ننسى حرب الفيروسات والكوفيد . إنّها إنجازات قوى الشّر العالمية.

2/ الحرب الأهلية في السّودان :

لقائل أن يسأل لماذا السّودان؟ يعلم القارئ موقع السّودان في تاريخ العرب وفي الجغرافية العربية ، وكان العدّو الصهيوني يعمل من وقت مبكّر على تفكيك الدّول العربية التي لها ثقل جيوسياسي وتقزيمها وتدمير بناها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتّى لا يعلو صوتها ولا تقدر على التّصدّي لمخطّطاته، وقد بذل الكيان قصار جهده لتقسيم السّودان فكان استقلال الجنوب ، بالتّوازي مع حرب المياه التي شنّها مبكّرا على السّودان ومصر، فدعّم تأسيس السّدود في أثيوبيا ، بتسخير لجنة مهندسين صهاينة قارّة أديس أبابا ، وقدّم المال مع مساهمة قوى الشّر العالمية المعلنة والخفيّة، ثمّ انتقلت حرب العدو الصهيوني على السّودان إلى دعم ميليشيا الدّعم السّريع ، وهي ميليشيا مسلّحة تخدم مصالح قوى الشّر وتستعمل أسلحة صهيونية وأخرى من قوى الشّر العالمية ، وقد ثبت ضلوع أطراف واضحة في محاولة تدمير دولة السّودان ، وتمّ توثيق كلّ أعمال التّخريب من تهديم للبنوك ونهب تراث البلاد وآثرها وهدم المدارس والمؤسسات الإعلامية للتعتيم على ما يجري داخل البلاد . إلاّ أنّ التفاف الشعب حول الجيش السّوداني مع النّخب السياسية الوطنية ساهم في دحر الدّعم السّريع بنسبة 80 في المائة ، واسترجاع مناطق واسعة من البلاد ، وتذكر الأخبار أن حميدات قائد ميليشيا الدّعم السّريع تلقّى تموينات مالية وتجهيزات عسكرية للهجوم على ولايات وقرى السّودان كما جنّد آلاف المقاتلين من المرتزقة ، إلاّ أنّ الجيش السّوداني بقيادته العسكرية وضبّاطه وجنوده استطاع أن يضيّق الخناق على الخونة ويحقّق انتصارات متتالية . ويقوم بواجباته تجاه الشّعب السّوداني .

3/ الجيش السّوداني يقدّم ملحمة تاريخية وينتصر على أشرار العالم:

لقد انطلق الجيش السوداني منذ مدّة في توزيع مساعدات إنسانية على الولايات والقرى المتضرّرة من هجومات الدّعم السّريع وطوفان السيول المائية إثر نزول الغيث النّافع بكثافة . وتمثّلت هذه المساعدات في مواد غذائية وأغطية وملابس . كما تدخّلت قوات الجيش السوداني وأخرجت العالقين في البيوت والأرياف ، المواطنين المتهدّمة بيوتهم. وتمّ نقلهم إلى مراكز إيواء مجهّزة بلوازم الإعاشة والإقامة. كما وفّر للتّلاميذ والطلبة الظّروف الملائمة للعودة المدرسية، واستأنفت كلّ الإدارات العمومية نشاطها وسير عملها في إحاطة أمنية وهدوء وسلام ، وطفقت تؤدّي خدماتها للمواطنين، كما تعزّز نشاط المؤسّسات الصّحية.

4/ أضرار ميليشيا الدّعم السّريع هي مخطّطات قوى الشّر العالمية:

لم تكن ميليشيا الدّعم السّريع وليدة لحظتها بل كانت صنيعة قوى الشّر من أنظمة رجعية عميلة وقوى الصهيونية ودعم الإمبريالية العالمية ، التي لا تؤمن بحريّة الدّين ولا بمكوّنات المجتمع المدني ولا بالمؤسّسات ولا بالثّقافة ولا حقوق الإنسان ، ولا بحريّة البلدان في تقرير مصيرها. قوى شرّ تسعى إلى دعم ميليشيات انفصالية مخرّبة في العالم الثّالث كما تسعى إلى تمزيق بلدان وتفتيتها إلى دويلات ضعيفة وحَصْرُ هَمَّ شعوبها في الطّعام والشّراب واللّذة والزينة والتّفاخر بالمال تتحكّم في رقابها المصارف المالية ، وكلّما تراكمت الدّيون كلّما تيسّر التّحكّم فيها. هذه هي الحقيقة التي أثمرت مآسي الإنسان في بلدان العالم المتخلّفة ، بلدان مهمّشة تسيطر عليها ثقافة البطن والفرج والمال ، ترفض التعدّد وحرية التعبير واقتصاداتها هشة تعتمد على المديونيّة، تفعل فيها رياح التّبعية الويل رغم أنّها تملك ثروات باطنية ينهبها اللّصوص والسّراق دعاة الدّيموقراطية والعدالة. وكانت السّودان مسرحا لحرب أهلية كوّنتها وأشعلتها قوى الشّر بينما ثرواتها تنهبُ في الخلف، ولا يخفى عن أيّ مواطن سوداني أو عربي ، ما تصنعه هذه القوى وتحيكه من مؤامرات للإبقاء على الكيان الصهيوني في أرض فلسطين العربية وهو حلم لن يتحقّق لعدّة اعتبارات، والاعتبار الأبرز أنّ كلّ صهيوني يسكن أيّ مدينة فلسطينية يعلم أنّه لقيط ولا يشعر بالأمان مهما حاول الكيان الصهيوني أن يجعل من نفسه دولة وشعبا فهو هراء في المنعرج الأخير لزوال هذه العمارات الخربة وهذا الكيان القذر. عتاد عسكري ودعم أمريكي لامحدود ورغم ذلك فقوى الشّر تهزم في كلّ يوم ، وكلّ صهيوني منكسر خائف لأنّه يعلم أنّ فلسطين أرض عربية . ولذلك كلّ يوم تتضاعف جهود المقاومة الشعبية الفلسطينية وتقدّم انتصارات كما يقدّم الجيش السوداني انتصارات على قوى الشّر.

5/ السّودان وفلسطين جبهتان للحرب فتحهما الكيان الصهيوني وقوى الشر العالمية:

جبهة السّودان وجبهة فلسطين ، كما كانت بالأمس جبهة سوريا وجبهة ليبيا ، هي صنائع الأنظمة الرجعية العميلة التي جلبت لنفسها العارّ وهي تستخفي من النّاس ولا تستخفي من الله الحكم العدل، تضع يدها في يد الغرب والصهاينة في محاولات لزعزعة الأمن في بلاد العرب ، وضرب أمن وسلام الأوطان والشعوب،

ثمّ يتحدّثون عن الإسلام والعلم ودعم الثقافة ، مخاتلات أنظمة مريضة استقوت بالمال والإسلام براء منها ، تشارك في جرائم تقتيل الأبرياء وتدعم كيانا صهيونيا سرّا وعلانية ، لقد أصبحت المعركة مُعلنة لا أحد يُنكر ذلك ، إنّها معركة العزّة والكرامة ، ضدّ قوى الرجعية والعمالة والشّر والصهيونية في العالم. وماذا ينفعُ المال أمام العار؟ عار المشاركة في تقتيل الأبرياء والصّمت عن الحقّ. سوف يستقرّ الوضع في السّودان ويتقدّم السودانيون رسميا بشكايات إلى الأمم المتحّدة تتضمّن وثائق تبيّن حملات التدمير التي قام بها الخائن العميل حميدات الدّعم السريع بدعم من قوى الشّر الرجعية والصهيونية والغربية، كما ستتقدّم دولة فلسطين بشكايات للأمم المتحدّة موثّقة بأدلّة للمجازر التي ارتكبها الكيان الصهيوني اللّقيط. لاسترجاع فلسطين. كما ستكشف سوريا يوما ما عن الإرهابيين المشاركين في الحرب داخل الأراضي السورية الذين دمّروا المدن والأرياف العربية السورية كما هدّموا المؤسسات والمدارس والبنوك والشركات والأسواق والبيوت التي كانت آمنة في يوم ما، ستكشف سوريا فضائح قوى الشّر في وقت ملائم . إنّها صنائع أشرار العالم ، وشنائع الصّهاينة وخدّامهم وداعميهم .

6/ القوى التّقدّمية وإدماج مادّة الرّوح الوطنية في برامج التّربية:

وإنّنا نحيّي القوى التّقدمية في العالم التي تدافع عن حقوق المواطنين والشعوب والأوطان التي تضرّرت من الحروب ومخطّطات التدمير ، كما تدافع عن حرّية الرّأي والعدالة الاجتماعية في المجتمعات . وكم تحتاج عديد الدّول في العالم إلى تكريس الدّيموقراطية وحرّية التعبير في الممارسة السياسية والحياة اليومية وتصريف شؤون النّاس ، كما تحتاج إلى إعادة بناء الرّوح الوطنية وذلك بمراجعة البرامج والمقرّرات التربوية وإدماج مادّة الرّوح الوطنية في موادّ التّدريس، وكذلك مادّة حرّية التعبير ومادّة احترام التّعدديّة الفكرية ومادّة الشّورى والتّشاور وتدريب التّلاميذ في الصّفوف الابتدائية على الحوار والتّشاور والقيادة والتّسيير ، وإدراج مادّة الإبداع العلمي . كلّها جهود تفيد لبناء إنسان في المجتمعات العربية وتعدّه لمواجهة الأزمات وبناء استراتيجيات وهندسة مكوّنات الحياة وفق رؤية استشرافية لا تكتفي بالحاضر بل تنظر وتهيّء للمستقبل لمدّة خمس سنوات أو عشر سنوات، بأيدٍ متّزنة غير مرتجفة . ممّا يساهم في حماية الأوطان والشّعوب من كلّ هجوم فكري أو سياسي أو عسكري أو صحّي أو تربوي . البرمجة السّليمة والتّشاور مع أهل الاختصاص هي ضمانة الخلاص من الصعوبات ، بعيدا عن الإقصاء والفرضيات الضّيقة التي غالبا ما توقع البلدان والشعوب في زرداب الأزمات، وإنّه الإخفاق ، ومن غير المعقول الآن في القرن الواحد والعشرين أن نرى شعبا يتخبّط في المشاكل نتيجة إخفاق طرف أو فئة قليلة (متعطّشة إلى السّلطة) في الاختيارات الاستراتيجية للبلاد. إنّه زمن الرّوح الوطنية بامتياز ومن شروط الرّوح الوطنية تشريك الكفاءات والإنصات إلى الخبراء. وهي تقريبا المصيبة الحقيقيّة لتخلّف العرب، غلق الأبواب دون الكفاءات وأصحاب الشأن. وتكوين لجان مركزية في مختلف المجالات.

وقد وجدت قوى الشّر العالمية في اختلاف السّودانيين وموالاة ميليشيا الدّعم السّريع لأطراف خارجية فرصة لتأجيج الحرب الأهلية، كما وجدت فرصا مثيلة في بلدان أخرى لتعميق الانقسامات وتأخّر البلد وتعطّل مصالح النّاس، من ذلك التّعنّت والتّشدّد أو استغلال النّفوذ لتحقيق مصالح شخصية ضيّقة (المال، الثروة ..)، وكلّها تثمر شقاء المواطنين وانسحاق الفئات الشعبية الهشّة ، وتوسّع الفقر والجوع وتفاقم ظاهر الطّلاق وعزوف الشّباب عن الزّواج وانتشار ظواهر اجتماعية أشدّ فتكا مثل السّرقة والتّحيل والدّعارة وتجارة الخمر والمخدّرات ، والتّدليس والغشّ في لمعاملات والسّلع والامتحانات وشهادة الزّور والكدية، والتّزلّف، وغلاء المعيشة، والمضاربة. وإنّ نقمة المحرومين تصنع العجائب في أوقات الذّروة. إنّ من مصائب هذه البلدان أن يقرّب الحاكم بطانته وأهله ومثلهم ومعهم خدم وحشم يستأثرون بنِعَمِ القصور وخيرات البلاد ويحرمون الشّعوب المفقّرة ، فعل ذلك عمر حسن البشير بشعب السّودان ومعمّر القذّافي بشعب ليبيا، لبسوا الذّهب وافترشوا الحرير وركبوا الطّائرات الفاخرة وكسبوا القصور وما ملكت أيمانهم وصالوا وجالوا هُم وأصهارهم وحُجّابهم ووزرائهم وولاتهم ، وكانت شعوبهم أحوج منهم ممّا كانوا فيه. بلدان تحتاج إلى مدارس عصرية وأنظمة صحية متقدّمة وخدمات ومواطن شغل ودُور شباب وخدمات اجتماعية وتموين ميسّر.كان يمكن ذلك ولكنّه لم يحدث ولذلك تدخل قوى الشّر العالمية من هذه المنافذ لتُحدث الفتنة وتُشعل الحروب.

7/ قوى الشّر تهدّد إنسانية الإنسان في العالم :

على الإنسان أن يتوثّب للدّفاع عن قضايا الحقّ والعدالة لأنّها قضايا لا تتعلّق بوطن ما أو شعب ما ، بل هي قضايا تتعلّق بالقيم الإنسانية للإنسان ، لابدّ أن يتحرّك الإنسان في فرنسا ولندن وأمريكا والنمسا وسويسرا وألمانيا وروسيا والهند وأستراليا وكلكوتا وبلدان أفريقيا وكلّ بلدان العالم ليدافع عن حقوقه المسلوبة عن إنسانيته التي ضاعت بسبب ممارسات الكيان الصهيوني الذي يمارس مجازر في حقّ الشعب الفلسطيني وحقّ الشعب السوداني كما مارسها في حقّ الشعب السوري الآمن والشعب اللبناني ، هذا الكيان المتوحّش الذي يعتدي على حقوق البشر ويمارس التقتيل والتعذيب والتدمير بلا رقيب ولا حسيب ، ويرسل ترسانات من السّلاح إلى ميليشيا الدّعم السّريع لتقتّل الشعب السوداني وتروّع المواطنين وتغتصب البنات والنّساء. ولا يمكن لهذه الأفعال أن تتوقّف إذا لم تتوحّد جهود أحرار العالم والجمعيات العالمية الداعمة لحقوق الإنسان، وتطالب منّظمة الأمم المتحدة بالتّحرك كما تطالب أمريكا ودول أوروب بالكّف عن دعم هذا الكيان المارق ، وتطالب بتمكين الشعب الفلسطيني من تأسيس دولته ، وتطالب بكفّ دعم ميليشي الدّعم السريع بالسّلاح ، ليستكمل الجيش السوداني وقوى الشعب السوداني إصلاح البلاد واستئناف التنمية وبعث المشاريع وإصلاح الاقتصاد وإبرام انتخابات وتأسيس حكومة وطنية تنطلق في ممارسة الإصلاح المجتمعي. بما يكفل حقوق هذه الجماهير في تقرير مصيرها والتّنعم باستقلالية الوطن في قراراته. وترسيخ الأمن والتنمية متلازمين .

و الحاصل أنّه لا يمكن الانتصار نهائيا على مخطّطات قوى الشّر العالمية إلاّ ببناء جبهة تقدّمية تحررية عالمية من العلماء والمفكّرين ورجال القانون من مختلف الأديان والأمم والحضارات تشكّل مركز قوّة تعضد جهود الأمم المتّحدة في تشجيع مشاريع إعادة إعمار السّودان ودعم السّلطة الرسمية فيه، وإصدار حُكم لتأسيس دولة فلسطين مستقلّة عاصتها القدس.

بعد تفجيرات لبنان:

ضباط إسرائيليون يكشفون أسرار سمعة الموساد المرعبة

موقع إذاعة «بي بي سي» نقل عن صحيفة التلغراف تقريرا للكاتب إيد كامينغ بعنوان "أسرار سمعة الموساد المرعبة – يكشفها ضباط استخبارات إسرائيليون سابقون".

يصف الكاتب انفجار أجهزة البيجر واللاسلكي في لبنان بأنها قصة عجيبة ومرعبة من عالم التجسس، لدرجة أنها قد تفوق قدرة تجسيدها في الأفلام السينمائية.

ويقول أفنر أفراهام، الذي خدم في الموساد لمدة 28 عاماً -عشرةٌ منها في الخارج- والذي يعمل الآن مستشاراً في أفلام هوليوودية عن تاريخ الموساد: "إن حقيقة استفادتنا من النتائج لا تعني أننا وراء الهجوم.. القضية هي أن هذه العملية مذهلة وإبداعية للغاية، وخارجة عن المألوف، بحيث لا يمكن إلا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية أو جهاز الاستخبارات البريطاني أو الموساد القيام بشيء مماثل.. لأنك ستحتاج إلى دعم حكومي، والكثير من النفوذ، والمال، للقيام بشيء مجنون كهذا".

ويضيف عميل الموساد السابق أفراهام أن حياة الموساد رمادية جدا وأنها ليست كحياة جيمس بوند. ومن وجهة نظره فإن الموساد يتمتع بقوتين رئيسيتين، مقارنة بوكالات التجسس العالمية الأخرى هما :

– الأولى أن "اليهود جاؤوا من جميع أنحاء العالم، ونشأوا في أماكن مختلفة، لذا فمظاهرهم مختلفة، ويمكنهم التحدث بلغات مختلفة.. عائلتي جاءت من العراق، وأستطيع التحدث بالعربية ونبدو عرباً عراقيين، لذلك عملت مع الموساد متخفيًا في لبنان".

– الثانية أنه تم صقل الأجهزة الخاصة بالموساد خلال سنوات طويلة من الصراع. وما يجعلنا جيدين جداً هو أننا اضطررنا إلى القتال كل هذه السنوات للعيش في بلدنا".

ووفقا لصاحب المقال إيد كامينغ فإنه مثل المخابرات السوفياتية والأمريكية والبريطانية في أوج الحرب الباردة، اكتسبت القوات الإسرائيلية على مر العقود سمعة بالإبداع، بإيجادها طرقا غير متوقعة للوصول إلى أهدافها، والتي غالبا ما تكون سرية للغاية وواعية أمنيا، مستدركا بأن الهجمات الأخيرة تجاوزت حتى أعلى التقديرات لقدراتها.

وينقل إيد عن ضابط إسرائيلي سابق في الوحدة 81، عمل بقسم الأسلحة السرية، أن "كل شيء يبدأ بتحديد الفرصة".

مضيفا: "هنا لاحت الفرصة عندما طلب حزب الله شراء أجهزة البيجر لأنهم أرادوا تجنب استخدام الهواتف المحمولة لتعرضها للاختراق والتتبع، ولكن جهاز البيجر أيضا هو جهاز يمكننا اختراقه بسهولة..".

ويرى المقال أنه ذهب في اعتقاد القائمين على حزب الله أن أجهزة النداء أكثر أماناً، ملاحظا أن الحزب لم يتوقع قدرة القوات الإسرائيلية على العبث بطريقة ما بآلاف الأجهزة، وتلغيمها تصنيعيا ف يما يُسمى هجوم سلاسل التوريد، وفقا لتوصيف ضابط إسرائيلي خدم في فوج الدبابات.

يقول الضابط السابق في الوحدة 81 أنه يتم رصد بعض المجندين في الوحدات الفنية الإسرائيلية وهم لا يزالون في المراحل الدراسية، مشككا في أن يكون أصحاب الرتب العسكرية العليا قد فكروا في خطة أجهزة النداء.. مضيفا «لا بدّ أن شابا يبلغ من العمر 25 عاما خرج وقال: "انظروا إلى هذه الأجهزة، ألا تعتقدون أن هناك شيئا يمكننا فعله بها؟".

ويخلص المقال إلى أنه في حين يضمد الآن حزب الله جراحه، وينظر العالم مصدوماً من التفوق التكنولوجي المرعب الذي حققته إسرائيل، فإن المدنيين في إسرائيل ولبنان وأماكن أخرى أبعد، يتساءلون إلى أين قد يقود ذلك.

الشارع الثقافي

العدد 424 - من الثلاثاء 24 إلى الاثنين 30 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الأزمة والثقافة والتاريخ

بقلم : لطفي عيسى

موطئ قلم

أوراق مطوية

بقلم : عواطف البلدي

أساطير

الأسطورة.. فضاءاتها وعوامل بعثها

بقلم : الناصر التومي

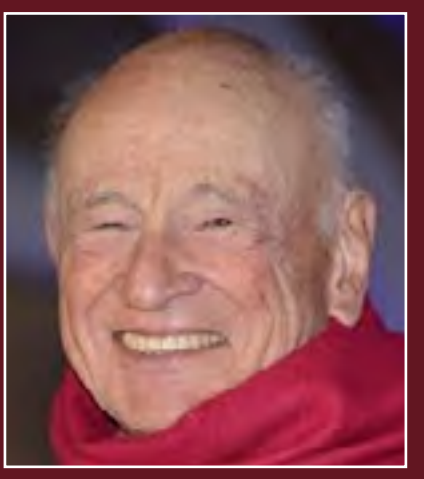

ترجمة

«تغيير الحياة» أو «فنّ العيش» الجديد

محادثة مع إدغار موران

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي

قراءة في كتاب

رواية «توجان» لآمنة الرميلي

رحلة أدبية ساحرة من أعماق التراث الشعبي

بقلم : وئام السعفي

فنون تشكيلية

الذاكرة في الفنون التشكيلية... مراوحة بين التذكر الخلاق والتجاوز الواعي

بقلم : ايمان بن ناجم

رأي

وللقارئ حقوق أيضا...

بقلم : صلاح بن عياد

وقفة

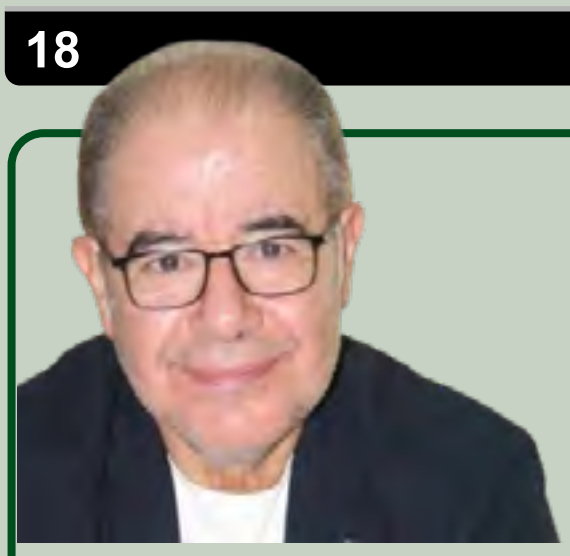

الأزمة والثقافة والتاريخ

بقلم : لطفي عيسى - أستاذ التاريخ الثقافي بجامعة تونس

كيف السبيل إلى انتقال الفضاء العربي من معاودة إنتاج نفس البنيات التقليدية، إلى ابتكار عالم جديد قادر على مجادلة ماضيه بمسافة وعقلانية، وتخطي أزمته الفكرية والثقافية؟

قد يشكل الحفر في طبيعة العلاقة التي ربطت تاريخ ذلك الفضاء بالثقافة والدين منذ انتشار الإسلام، وحتى تشكّل ظاهرة الإسلام السياسي، على خلفيّة انسداد أفق التجارب الإصلاحية للدول الوطنية بعد تصفية الاستعمار وفشل مشاريعها التنموية في صياغة انتقال حاسم، طريقا سالكة لتعقّل أسباب هذا المأزق.

بيد أن لمفهوم الأزمة علاقة وثيقة بالكشف عمّا شدّد عليه فريدريش نيتشه من أن: «ما هو حاسم لا يولد إلا بالرغم عنّا.» الشيء الذي ينهض حجة على أن الأزمة قد لعبت ولاريب دور المحرك للفعل البشري، في حين شكّلت الثقافة من جانبها مدار للابتكار والتحوّل الروحي وصياغة سجلات المعايير والقيم الجديدة، وشغل التاريخ دور إطار الممكنات التي لا تُقرأ إلا بعد وضعها موضوع مسافة، بحيث لا نستطيع إلا أن نقرّ فكريا بالدور الذي عاد للدين الإسلامي في صياغة ماضينا وتحديد العلاقة بحاضرنا أيضا، من دون أن نعتقد أن شاغلا بهذا الحجم يمكنه أن يختزل مطلق حقيقتنا البشرية.

لذلك بوسعنا أن نتعاطف مع تلك الديانة، من دون أن نكون مجبرين على الاعتقاد بأنها السبيل الوحيدة لخلاصنا. لأن كل قراءة للمسألة الدينية لا يجب أن تنحاز لوجهة نظر واحدة تنافح من أجل أن يكون الدين وحده هو ما يحدّد في نهاية المطاف جملة ما نقوم به، إنما الدين جزء لا يتجزّأ من حياتنا ماضيا وحاضرا.

وعلى العموم فقد تشكّلت الرؤية الكلاسيكية للسردية التاريخية العربية الإسلامية من حكايات الشعوب السابقة لـ «نزول الحقيقة» (القرآنية طبعا)، وهي روايات بقيت عُهْدَتُهَا بيد من تولى قصّها، مع الكشف عن سفه العالم ولا إنسانيته قبل نزول الوحي. لتحلّ بعدها الحقبة النبوية التي تضمنت الوحي والتبشير والفتوحات، وهي حقبة سردت أخبارها كتب الطبقات والمغازي.

ولا تقتصر تلك الحقبة على حياة النبي وحده، إنما تم اعتبار تلك الحقبة أنموذجية لاحقا، بحيث تمت صياغة الأخبار على شاكلتها بالنسبة للحقب المتتالية. وهو ما يسهل التفطن لحضوره ضمن أشكال سرد وقائع تاريخ شيوخ الصلاح وأهل الشرف على سبيل المثال لا الحصر. لذلك يتعيّن على المؤرخ المختص حاضرا وحال استخدام تلك الروايات، الانتباه من مغبة الانزلاق في الخلط بين المضمون الواقعي للحوادث، وبين أشكال ترميقها أو تكييفها ونمذجتها.

ويطرح هذا التنويه معضلة فقدان الحدث التاريخي بالنسبة لصائغه عربيا لجانب كبير من الموضوعية، باعتباره غير متماسك بذاته، وأن قوّته متأتية من نسق إلهي يحيل على حياة النبي، أو ظهور المهدي المخلّص عند أهل الشيعة. وعليه، فإن كل رواية يتعيّن أن تتطابق مع السيرة النبوية ولا تطرح نفسها بوصفها مسلّمة. أما فيما سوى تلك الأخبار المؤسسة فتنعدم الموضوعية تماما وتستوي الوقائع، ويصبح التاريخ مجال للمُمكنات، ليتحوّل وفي تصوّر المؤرخ العربي الكلاسيكي إلى عرض تجميعي لحوادث أو لعادات تعيد انتاج نفسها باستمرار.

يكفي أن نتجاوز المقدمات أو الاستهلالات حتى يصبح من غير الدقيق في شيء رد الأخبار إلى مجال الوقائع CHRONIQUES أو إلى مجال الحوليات ANNALES وفقا للمعنى الذي تسحبه التسميتين ضمن مجال المعارف التاريخية غربا.

وفي جانب موازي تتضمن العروض المقترحة في العلوم الاجتماعية تعريفا ملتبسا للتقليد الذي يعيد انتاج نفس النظيمة بوصفه قيمة واسمه للمجتمعات التقليدية. فالترجمة العملية لذلك بالنسبة للمجتمعات الحديثة تحيل زمنيا وبمعناها السلبي طبعا على سياقات ما قبل القرن الثامن عشر، في مقابل ما عاينته تلك المجتمعات لاحقا من تحوّلات طالت البني العمرانية الريفية وحركات الإصلاح الزراعي. لذلك يقتضي الفصل بين السياقات المخصوصة التي عاينتها تلك المجتمعات الغربية، مقارنة بما عاينته بالمجتمعات الإسلامية، البتّ بشكل مجهري في مدلول التقليد وفي مدى دقة ربط ذلك بكلا المجتمعين من خلال أخذ تصرفات المحسوبين عليها وتصوّراتهم أيضا مأخذ إعادة انتاج ماضيها.

ففي مرحلة ما قبل الاستعمار لعبت الدولة السلطانية دور قوة الدمج الاجتماعي والسياسي بين سكان الحواضر ومَنْظُورِي التجمعات البدوية والقروية. وهو ذات الدور الذي عاد للدوائر العسكرية والمدنية الأجنبية طوال مرحلة الاستعمار، تلك التي حاولت تقليص الفوارق بين تسارع التحولات الاجتماعية بالوسط الحضري وتمسّك الجمعات الريفية بمعايير أزف فصلها بالكامل. أما بعد تصفية الاستعمار فقد عادت للدول الوطنية عامة مهمة الربط بين الممارسات العصرية للأحزاب السياسية وللنقابات المهنية، وكذا للحركات الطلابية بالمدن، وبين الطابع المحافظ لتصرفات المحسوبين على المجموعات القروية المنغلقة البعيدة عن فحوص تلك الحواضر.

وعموما فإننا نتبين جليّا وفي مختلف الحالات والفترات أو السياقات أن جانبا من السكان له استعداد للتقدم أو التطوّر، في حين بقي الشقّ الريفي أو البدوي المقابل متمسكا بالقديم، مُدافعا عن تصورات محافظة، بل وسلفية في غالب الأحيان.

على أنه وبمجرد استنطاقنا للمعطيات التاريخية، فإنه بالوسع العثور على وجه مغاير تماما للمسألة. فعلى الصعيد السياسي مثلا كانت السلطة طوال الفترة الحديثة وحال التدقيق في مضمون مختلف التجارب السلالية غالبا ما تعرّف نفسها من خلال التشديد على وقوفها في صفّ التحديث الناسل في روايتها عن جملة من التطورات المتنوعة التي آلت مع حلول القرن الثامن عشر إلى نوع من التقليد أو من الإخلاص للماضي. لذلك يمكن الجزم بأن معنى التقليد في مجال الفعل السياسي قد تم شدّه بشكل مُضمر لشرط القبول بالتجديد المتخفي وراء غطاء الإخلاص للماضي. وهو عين ما يسهل رصده على الصعيد الثقافي، كلما تركنا جانبا المشهد الفولكلوري لما يوسم بالثقافة القاعدية الشفوية، وركّزنا على الثقافة المكتوبة في اللغة العربية، وهي ثقافة غالبا ما وُسمت طوال القرنين التاسع عشر والعشرين بالتقليدية، فإننا سنتفطن إلى أن تلك الثقافة قد نشأت عن وضع مُحدث بدأت ارهاصاته الأولى في أكناف منعطف القرنين الخامس عشر والسادس عشر. فقبل هذا التاريخ كان هناك تضامن أفقي قوي يربط بين مدن العالم الإسلامي الكبرى، يتخطى بأطوال مديدة ما كان يُقرِّب بين تلك الحواضر وأرباضها المباشرة أو القريبة، بحيث بدت مدينة تونس أقرب ثقافيا إلى حاضرة الأدارسة فاس، وكذا إلى مدن الأندلس، منها إلى القرى والأرياف المحيطة بها.

ومع تأزم الأوضاع الاقتصادية وتراجع الروابط التجارية بين تلك الحواضر الإسلامية مشرقا ومغربا، حلّ نوع من التضامن العمودي محلّ سالفه الأفقي. فارتبطت المدن بالأرياف، وتسارع نسق الاندماج المصلحي بين الطرفين، وتلك حقيقة أثبتتها مؤلفات الأخبار ودقّقت بشأن تفاصيلها كتب النوازل أو الفتاوي ضمن مجال المغارب، بحيث تحوّلت النُخب الحضرية إلى سلطة تعليمية وجدت صعوبات جمّة في الارتقاء بسكان الأرياف المعزولين لقرون عن ثقافة المدن، وهي ثقافة لم يكن بمقدور أولئك تمثّلها بشكل سَوِيّ ومن خارج الانتساب إلى الطوائف أو الطرق الصوفية (وهو ما فصّلنا طويلا بشأنه ضمن العديد من مؤلفاتنا). لذلك حصل تركيز على الجوانب الفقهية والخيرية الاجتماعية، فانحطت الثقافة الدنيوية، ونما تبعا لذلك قاسما مشتركا بين نُخب المدن والشرائح البدوية أو القروية المتعلمة التي لم تستوف مراحل تطوّر ثقافتها العربية.

حاصل الأمر، أن كل حديث عن التشبث بالتقليد بوصفه عقبة في وجه التغيير والتقدّم ينبغي ربطه بطبيعته اللاإرادية أو اللاشعورية، تلك التي تجري خارج مجال الزمن التاريخي، وتعكس نوع من المقاومة العنيدة الصامتة لجميع محاولات التجاوز أو التقدّم. لذلك غالبا ما تَرْكُن الأوضاع إلى نوع من تهيّب النخب من القفز على الواقع، خاصة عندما تكون بحالة دفاع عن النفس، منتهية إلى نوع من التكيّف مع أوضاعها السابقة وترسيخ ذاتها الجماعية في مواجه مختلف القوى الأجنبية المتنمرة ضدّها، حقيقة كانت أم متوهَمة، حتى وإن أبدت نفس تلك النخب قدرة على التغيّر السريع كلما صادقت على ضرورة التحوّل والقطع تبعا لذلك مع التقليد عبر رسم أفق حقيقي أو رؤية عمليّة للمستقبل تعكس ما تعنيه الثورة بعمق وعلى الحقيقة أيا كان السمت الذي يكون بمقدور تلك الثورة أن تخرج به على معاصريها.

أوراق مطوية

بقلم : عواطف البلدي

لا يمكن أن نَنْحت مشروعا مجتمعيا ونبتكر منوالا جديدا للتنمية الاقتصادية ونقطع مع عشريتين على الأقل من الفشل والتخبّط ونفتح طريقا جديدا للأمل دون إسناد ثقافي. نقول قولنا هذا ثم ندخل باب الإيضاح والتوضيح والتفصيل: إن كل مشروع مجتمعي جديد يحتاج بالضرورة إلى أعمال فلْح وقلْب للتربة أو بمعنى أدق إصلاح ثقافي شامل.

منذ حدث 14 جانفي 2011 تداول على رأس وزارة الثقافة موسيقيون (مراد الصقلي وسنية مبارك ومحمد زين العابدين ومؤخرا أمينة الصرارفي) وعالم اجتماع (مهدي المبروك) ومؤرخة (لطيفة لخضر) وسينمائية (مفيدة التلاتلي) وعالم آثار (عز الدين باش الشاوش) وجامعي مختص في البلاغة والآداب (وليد الزيدي) ومختصة في الحوسبة والإعلامية (شيراز العتيري) وبعض من التكنوقراط... تعامل أغلبهم مع الشأن الثقافي كعمليّة إدارية دورية مملّة، فغابت الرؤية وغاب الإصلاح وصارت الثقافة في بلادنا تلُوك بشكل مملّ بعضا من الشعارات المتآكلة.

كانت الحصيلة صفرا على اليسار فلم تعكس الثقافة روحا جديدة أو حتى ملامح أفق مأمول. فحافظت المهرجانات والتظاهرات صيفا وشتاءً، في الموسيقى والسينما والمسرح وغيرها، على طاحونة الشيء المعتاد وبات الكتّاب والشعراء على حالهم وكأن الرياح لم تهب على أرضهم...

في كلمات موجزة ومختزلة ومباشرة كان للدولة الوطنية «ثقافتها» تُرجِمت إلى مؤسسات ودور نشر ودور ثقافة ومهرجانات سينمائية ومسرحية والى ابتكار «قرطاج» في نسخه الفنية المتعددة، فأُحدثت المؤسسات وتتالت الأيام والدورات الثقافية والفنية كـ«الجي سي سي» و«الجي تي سي» ومعهد السينما وصندوق التنمية السينمائية والفرق المسرحية المتناثرة على امتداد الوطن ومراكز الفنون في الجهات الاربع. ورغم افتتاح مؤسسات ثقافية بعد الثورة (أبرزها مدينة الثقافة) واحداث هياكل وأيام على غرار أيام قرطاج الموسيقية والشعرية والكوريغرافية والفن المعاصر وفنون العرائس فإنها لم تأت أُكلها مثلما حدث مع أيام قرطاج المسرحية والسينمائية في سنواتهما الأولى رغم أن هذه الأخيرة فقدت بريقها وألقها خلال السنوات الأخيرة بسبب قرارات متعثّرة طغت عليها تنظيما واشرافا ودعما ورؤية وبرمجة...

لسائل ان يسأل أية ثقافة لحدث ما بعد 14 جانفي؟! الاجابة كانت واضحة خلال عشرية التوافق وهي عدم الايمان بأهمية الثقافة والفنون والآداب واعتبارها مسألة ادارية ومجرد ترويح عن النفس و«تفرهيد»..

مرت العشرية الاولى بعد 14 جانفي وتفككت منظمتها وذهب ريحها فانتظرنا مخاضَ رؤية تدّعي القَطْع مع الماضي وتدّعي اصلاح ما فتّقته ايادي الخراب.. بضع سنوات مرّت ولا أمل يُرسم في الافق ولا إشارة او مؤشرا أو رسالة أو تلميحا أو تصريحا أو وعدا بأن الثقافة أو لنقل وزارتها والمشرفين عليها سينحتون طريقا جديدا يكون قاعدة رمزية لمشروع مجتمعي يرفع شعار السيادة والتحرّر والتحرير...

لا سيادة ولا نصر في حرب تحرير دون اسناد ثقافي ولا نجاح يُكتب لأي مشروع مجتمعي حالم دون نهوض بالفنون والآداب ورفع لشأن الناشطين والفاعلين والمبدعين.

آن الأوان لفتح أوراق «الثقافة المطوية» منذ عشرية ونصف. أوراق لم يتجرأ وزير واحد على فتحها... آن الأوان لإعادة النظر في أوراق السينما والموسيقى ومعاهد التكوين وردّ الاعتبار الى مكانة الثقافة كعجلة اولى للنمو والنماء... آن الأوان لإعادة فتح أوراق مشروع حقوق الفنان ولا ننسى طبعا رد الاعتبار لموظفيها المعزولين والمهمّشين ظلما ولأصحاب العقود الهشّة من عملتها وموظفيها... حينها فقط نتحدّث عن تونس جديدة وثقافة متجدّدة تليق بها وبعقولها وبـ «المادة الشخمة» مثلما وصفها الزعيم بورقيبة. وهي عبارة عن ذلك الخليط من العلم والفن والتربية والقدرة على الابتكار دون استناد الى ثروة مادية او طبيعية.

علَم من الذاكرة

كيف صار لقب الطبيب أحمد الصقلي رمز الحذق والاتقان؟

عبد الرؤوف الدهماني

«يا سيدي الصقلّي داويني بكلّي»*

أبو العباس أحمد عبد السّلام الصقلّي الشريف الحسني. والصقلّي نسبة إلى صقلّية التي هاجرت منها أسرة طِبيّة باتجاه تونس. وتشير المصادر إلى تاريخ وفاته سنة 1418 كان من أشهر الاطبّاء انذاك. وفي تلك الفترة كانت البلاد التونسيّة مزدهرة بفضل ملكها «أبي فارس عبد العزيز» الذي شاع ذكره في آفاق العالم العربي الاسلامي ودعا له خطباء المساجد في الأندلس والمغرب الأقصى. أنشأ هذا الملك المارستان الحفصي بمدينة تونس لمعالجة المرضى من الضعفاء والمساكين. ونشأت بجامع الزيتونة في عهده حركة فكرية شملت المنقول والمعقول. فبرز علماء أجلاّء كابن خلدون وابن عرفة والبرزلي.

وتذكر بعض المصادر أنّ أحمد عبد السّلام الصقلّي درّس الطبّ في جامع الزيتونة وتتلمذ عنه كلّ من الإمامين ابن عرفة والرصّاع. وأورد تلميذه أحمد الخميري في مخطوط له تحت عدد 18502 بالمكتبة الوطنية بتونس أنّ شيخه الشريف أبا العباس أحمد الصقلّي أشدّ النّاس خلقا وأحدّهم مزاجا، سريع الغضب يستعمل السّكون ويخفض الجناح على جهة التطبّع إلى أن صار له ذلك عادة. وكان يقول: «العادة طبيعة مستفادة، والغضوب يروّض نفسه حتّى يرجع حليما».

وذكر الرصّاع في كتابه «الفهرست» أنّه سمع من شيخه الإمام ابن عرفه ومن غيره أنّ بلدا لا يسكن بها الصقلّي لا يطيب بها العيش، اعترافا بمقامه وحذقه للطبّ. وصارت عبارة «الطبيب الصقلّي» تُطلق على الطبيب الحاذق المتفنّن، بل تنسب بعض الروايات صفة «الصقلّي» إلى من يعرف بالصلاح وإلى أصحاب الكرامات.

والمعروف أنّ عائلة أبي العبّاس أحمد عبد السّلام الشريف الصقلّي عائلة طبّية اشتهر منها محمد بن أحمد الصقلّي ومحمد بن عثمان الصقلّي.

مع الاشارة الى انه هناك في تونس لقب الزكلي والصقلي والصكلي وكل تلك الالقاب هي تحريف للقب الصقلي اي القادم من صقلية اثر سقوطها في يد الايطاليين وافتكاكها من تونس زمن الفاطميين وهي عائلات تستوطن تونس منذ قرابة الالف سنة. بينما تختلف عبارة الزقلي فلا هي ايطالية ولا علاقة لها بسيسيليا اي صقلية في جنوب ايطاليا. كذلك ليست بالاسرة التركية الاصل (...) .

*Noor-Book.com الطب العربي التونسي في عشرة قرون الحكيم أحمد بن ميلاد 3 .pdf

*الحكيم أحمد بن ميلاد - الطب العربي التونسي في عشرة قرون ص 101

في حقل الكتابة قطّة تلعب بكبّة الخيط

بسمة الشوالي

"النساء يكتبن أحسن" هو كتابُ مختارات قصصيّة لكاتبات من أمريكا اللاتينية ترجمها الكاتب المغربي محمد صوف، صدر سنة 2000. وقد استقى محمد صوف عنوان كتابه هذا من عنوان مقال للكاتبة الأرجنتينية «آنّا ماريا شوا» (1951)، ورد ضمن المختارات كالتالي: «لماذا تكتب النساء أحسن من الرجال؟»

تطرح الكاتبة في هذا المقال مسألة علاقة النساء بالكتابة انطلاقا من فرضيّة أنهنّ الأحقّ بامتلاكها موهبة وممارسة من الرجال بناء على عدّة حجج هي في الواقع مواقف الآخر/ الرجل- الكاتب من اشتغالها بفنّ الكتابة الإبداعيّة، حجج تستعرضها الكاتبة في أسلوب تهكّميّ لذيذ بعبارة محمّد صوف. وفي هذا المقال، سنحاول التوسّل ببعض الاقتباسات التي عن آنّا ماريا شوا لتحليل «الفرضيّات» المطروحة وبيان حدودها التي تتوارى بالنسبة إلى القراءة السطحية تحت نبرة ساخرة تعيد بناء العلاقة بين المرأة والكتابة من جهة، وبين الإبداع في شتّى الفنون وخاصة منها الكتابة الإبداعية شعرا وسردا والإنسانيّ في الإنسان وهو في محلّ إقامته المشترك من هذا العالم.

تقول آنّا: «الرجال الحقيقيّون لا يكتبون. لا يحْكون. يروج في الأيام الأخيرة في أوساط النقاد وهواة الأدب أن الأدب مهنة نسائية. إنه فنّ يشبه فنّ النسج والطرز «

هناك ارتباط وثيق بين المرأة والنسيج والتطّريز، ارتباط قديم قدم الوجود البشري على سطح الأرض، في مختلف الحضارات، وعبر العصور. آدم كان أوّل من مارس النسج في التراث العربي الإسلامي، فحالما نزل إلى الأرض ذبح كبشا وأخذ صوفه فغزلته حوّاء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبّة ولحوّاء درعا وخمارا» (ابن الأثير). وكانت عشتار آلهة الخصب والجمال في حضارة ما بين الرافدين تدعى بالربّة النسّاجة، وعُرفت أثينا آلهة اليونان بمهارتها في النسج والطّرز، وكانت أراكني فتاة من أثينا تميّزت ببراعتها الفائقة في النسيج ، تذهل منسوجاتها الجميع بشرا وحوريّات وآلهة. وكانت قد تحدّت الربّة أثينا في هذا الفنّ وتفوّقت على الربّ، لكنّ مسألة التفوّق البشريّ التي تمسّ جوهر التفوّق المطلق للآلهة ووجودهم المتعالي أدّت في النهاية إلى أن غضبت أثينا على أراكني فحوّلتها إلى عنكبوت وحكمت عليها أن تظلّ معلّقة إلى مكان منزو بعيد عن الأنظار هي وبناتها من بعدها، إلى كان هشّ سريع العطب، حسيرة النظر وضئيلة الجسد، ليس لها من طريقة للعيش سوى أن تدع الخيط الرقيق ينسل من بطنها إلى الأبد.

حذار، من يرَ منكم عنكبوتا في الركن المهجور فليذكر أنّها حفيدة تلك المرأة المبدعة أراكني، جدّة كلّ العناكب النسّاجات بما فيهنّ تلك التي خلّدت الصحراء العربيّة حكايتها لمّا حاكت شبكتها الدائريّة على فوهة غار حراء فضلّلت قُفاة الأثر عن النبيّ وصاحبه «إذ هما في الغار» مختبئين.

لا يسمح المجال بالتوسّع أكثر في ذكر الأمثلة عن إبداع المرأة في النسج والطرز وإتقانها لفنّ دقيق وصعب يحتاج إلى الموهبة أوّلا وإلى القدرة على الصبر والمِران والتجربة وحيويّة الخيال والولع الخاصّ بالتفاصيل الدقيقة وبهجة الألوان والصّور والشغف بالحكي والحياكة، وهي ذاتها العناصر الضروريّة لخلق عالم القصّة المتناسق أكان ذلك في المنسوجة، أو الحكاية الشفهية أو الإبداع الأدبيّ المكتوب. ودليل ذلك جليّ في معاجم اللغة العربية حيث «نسج» هو أحد معاني «سرَد»، فسرْد القصّة هو نسْج الأحداث والوقائع وفق تتابع وانتظام معيّنين وذلك شفهيّا باستعمال عضو اللّسان (ومن أسمائه لغة: المِسرد) أو بلسان القلم. وسرْد الدّروع والسترات هو نسجها أو ثقبها باستعمال المِسرد وهو الإبرة/ أداة الثقب وكذا أداة سرد الملابس. ولقد سردت أراكني بمسرد الإبرة قصّة من اثنتين وعشرين مشهدا مختلفًا عن الحبائل والخدع والأساليب الماكرة التي استخدمها زيوس (أب الآلة والبشر عند الإغريق) في إغواء البشر بمنتهى البراعة والدقّة بما أوقعها تحت طائلة عقاب الربّة أثينا، ووظفّت شهرزاد مِسرد اللسان في نسج الحكايات بمهارة جعلتها تمسك بطرف خيط التشويق المنسلّ من بطن الخيال المبدع طيلة «ألف ليلة وليلة»، واضعة بذلك

حدّا لانتقام الملك من النساء عبر قتل واحدة منهنّ عند كلّ فجر يولد من رحم الظلمة. والبقاء على قيد الحياة هو انتصار شهرزاد بمسرد اللسان عبر سرد الحكايات على الملك باعتباره استعارة للإله (المسكيني)، وهو ما لم تستطع أراكني تحقيقه بمسرد باستعمال إبرة السرد/ النسيج تحقيقه فكان مصيرها القتل الرمزي/ المسخ بأمر أثينا رغم كونها ربّة أنثى. «إنّ ما يربط بين عناصر ثلاثية الأب/ الملك/ الإله ليس نموذج الذكورة البيولوجية بل بالتحديد مواصلة «الاعتقاد» في النحو. يقول فتحي المسكيني في توطئة كتابه «الجندر الحزين».

لكن، هل النسج بما هو سرد للقصص بالخيط والإبرة والقلم واللسان فنّ نسائيّ بحت؟

إنّ آدم وفق القصص الديني الإسلامي هو أوّل النساجين على وجه الأرض إطلاقا، نزل من السماء سيدا مطلقا وأبا لكلّ شيء وكلّ أحد ولم يكن مضطرّا لإزاحة أيّة ربّة نسّاجة أو امرأة من الفانيات المبدعات في النسج كما في الأساطير الإغريقية. ولأنّه هبط عاريا فقد بادر إلى حياكة ما يستر جسمه ويشرّع سلطته: الجبّة. النسيج إذا أكان حرفة لكسب القوت أو فنّا ليس مهنة نسائية محضا ولا فنّا من اختصاصها وحدها. أما الكتابة فقد كانت زمنية طويلة ممارسة ذكوريّة، فمن «بطن» أحفاد آدم الذكور ينسل خيط القصص بعد عسر يسمّونه «مخاض الكتابة» ويُسمّى الكتاب «مولودا جديدا» يتلقّى «والده» التهاني والتباريك، بينما أزيحت الأمّ الكبرى/ عشتار وحفيدات أراكني المبدعات وبنات الحكّاءة العظيمة شهرزاد إلى الظلمة، إلى ما وراء الحجاب، حيث يكنّ « أرحاما للإنجاب» وحليّا للفُرش وحارسات وفيّات لعرش السلطة القائمة أيّا كان حاكمها. كان «الرجال يقهقهون، بينما النساء يتهامسن، وبين القهقهة والهمس جسرُ الطباق

جرت تحته مياه كثيرة» يقول د رشيد سكّري. على ظهر تلك المياه، «ظهر صوت المؤنّث صاخبا يحمل غضبه إلى ضفّة الصّوت كلّما تمّ منعه من الوصول إلى الكلام (..) «باحثا» لنفسه عن أمكنة مغايرة للعبور وجدت في الفنون بأشكالها أفقها الخاصّ» (بن شيخة- «صخب المؤنث»). والكتابة هي أحد جسور العبور إلى ما وراء حدود المنع والحجب والقمع، وإلى الحياة (نموذج شهرزاد) بيد أنّه جسر لا يبنى من خيوط النسيج وحدها أو من المهارة في ذلك. ففنّ النسج لا جنس له ولا لون ولا دين ولا عِرق، أمّا الكتابة فتحسم أمرها أمّ الزين بن شيخة في كتابها «صخب المؤنّث» : لا جنس للكتابة غير الأدب ولا جنس للثقافة غير الإبداع ولا جنس للإبداع غير الحريّة». فأيّ حجّة أخرى تطرحها أنّا ما ريا شوا لدعم وجهة النّظر القائلة إنّ المرأة تكتب أحسن من الرجل؟

تتساءل أنّا:

" أليس شائعا أن الكُتاب (الرجال) متّهمون بالخفّة وعدم الاستقرار والإحساس بالذات والحسّ المرهف لدرجة فائقة؟ الكتّاب معرفون بقوّة الحدس وبالشعوذة وبالكذب. أيّ أنهم نساء. وهذا معناه أن الكُتاب تنطبق عليهم الصفات التي تعوّد الناس إلصاقها بالنساء.» و»إذا تفحصنا المفهوم جيدا- تضيف- نجد أنّ تراكم الأنشطة والرموز أو الحكايات المغرقة في الفحولة تجعلنا نشكّ في إخفاء السيدة أرنست همنغواي لجنسها نظرا لما تبديه من رومانسية في رواية «لمن تقرع الأجراس»وحدها المرأة تستطيع فعل ذلك (تعني القدرة على إخفاء جنسها كامرأة). عند هذه اللحظة الكاشفة لقدرة الكاتبة والكاتب على التحوّل تخييليّا وفنّيا إلى الجنس الآخر شريكِ نفسه في السكن داخل نفسه في شكل جدولين أبديّين يجريان في العمود الفقريّ (كازاناتكيس)، بوسعنا أن نستحضر ما أورده أمين نجيب عن رولاند بارت في كتابه «موت المؤلف» (1967)الذي اقتبس من رواية «أونوريه دو بَلزاك»، قولا على لسان بطل روايته «ساراسين» (1830) وهو يصف امرأة دون أن يعلم أنها رجل متنكّر في هيأة امرأة: «لقد كانت امرأة بمخاوفها المفاجئة، ونزواتها اللامعقولة، بمخاوفها الغريزيّة، بتبجّحها غير المبرَّر، بجرأتها والشعور اللذيذ برقتها». «ويتساءل بارت "من يتحدَّث بهذه الطريقة؟ هل هو بطل الرواية؟ هل هو بلزاك الإنسان، الذي وهبته خبرته الشخصية فلسفة حول المرأة؟ هل هو بلزاك المؤلف يكتب أفكاراً "أدبية" حول الأنوثة؟ هل هي حكمة عالمية أو علم نفس رومانسي؟ من المستحيل أن نعرف»(نجيب). القدرة على إخفاء الجنس ليس إبداعا نسائيّا محض. هو إبداع إنساني يعبّر عن نفسه بشدّة في مختلف الفنون ومنها الكتابة قصّا وشعرا.

بالعودة إلى مقال آنّا، تمثّل الصفات المذكورة في الفقرتين المقتبستين منه - من حيث هي أنّ بعضها طبيعيّ (بما في ذلك الموهبة الفطرية في سرد القصص والخرافات واختراع الحكايات) وبعضها مكتسب بحكم التنشئة الاجتماعيّة وهيمنة السلطة الذكوريّة (القدرة على مراوغة هذه السلطة بالكذب والحيلة والتستّر والغواية لحماية الذات واستراق فُسح خاصة من الحرية)- تمثّل بعض المعطيات الأساسيّة لممارسة فنّ الكتابة، وبالتالي فالنساء يكتبن أحسن من الرجال طالما أنّهنّ اللاتي يكذبن في هذا العالم. لكن لماذا يا ترى ما يزال عدد الكتاب إلى اليوم أكثر بكثير من عدد الكاتبات في وطننا العربيّ مثلا؟ سندع السؤال عن حالنا العربيّ وأستدعي كاتبة أخرى من خارج أفقنا هذا.

في قصّة لكاتبة من الدومينيكان تدعى «جين ريز» (ت 1979) بعنوان «يوم أُحرقت الكتب» أحرقت الأمّ مكتبة الأب بُعيد وفاته في حركة انتقاميّة من ذكراه لأنّها لم تكن امرأة سعيدة في حياتها الزوجية معه. أثناء «محرقة الكتب كان ابنها الطفل إيدي وصديقته يختبئان في حجرة الكتب كعادتهما ويقرآن، أثناء الحادثة التقط كلّ منها كتابا كما اتفق وهربا في المخبإ جرى بين إيدي صديقته حوار قصير حول ما سينجرّ عن هربهما، قال إيدي متحدّثا عن أمّه : «.. لكنّها ستخبر أمّكِ بكلّ أنواع الأكاذيب. إنّها كاذبة مزعجة. إنّها لا تستطيع أن تؤلّف قصّة لإنقاذ حياتها لكنّها تؤلّف الأكاذيب في حقّ النّاس كافّة». عن هذه الكاتبة قالت لطيفة الديلمي: «ناضلت ريز طويلا لأجل الحبّ والكتابة وقاومت الموت وهي تترنّح بين حالتي الانهيار الجسدي والعقلي وكان عشقها الكبير للكتابة حافزها ودافعها الوحيد لمواصلة الحياة، حتى نجحت في فرض اسمها على الأوساط الأدبية». الجملة المقتبسة من قصّة جين ريز تعيد صياغة السؤال على نحو أجدى: لماذا لا تكتب النّساء طالما يمتلكن من الصفات والقدرات ما يخوّل لهنّ ذلك؟

تذهب بنا آنّا ماريا شوا إلى هذه النقطة في سلاسة، دون السقوط في فخّ المقارنة المجانيّة بين ما يكتبه الرجل وما تكتبه المرأة. تذهب إلى دعوة النساء إلى أن ينظرن إلى أنفسهنّ من أجل هدم الحدود الفاصلة بين الدّاخل والخارج، وترميم الجسر المتصدّع بين الأنا والآخر بدل التحديق في الهاوية التي تمتدّ عميقا تحت أقدامهنّ، تدعوهنّ إلى ممارسة الكتابة بدل مراقبة الرجال وهم يكتبون ورعاية مواليدهم الجدد بالقراءة. وفي هذا الصّدد تذكّرهنّ بالإحصائيات التي « أثبتت أن النساء أكبر قارئات للقصّة والرواية عبر الأزمنة. وبفضلهنّ استطاع الأدب أن يعيش. وليس غريبا أن تسمع رجلا يقول: «إنه كتاب مهمّ. سأعطيه لزوجتي التي تقرأ كثيرا، «مع ذلك، تردف أنا ماريا في نبرة ساخرة، «فالمرأة تغار من الجهد الدائب المستمرّ الذي على الرجال أن يقوموا به في الكتابة»، هذا الدّرب الشاقّ حيث السيّر فيه أشبه بـ « بنوبة طويلة لمرض مؤلم، لا يستطيع المرء القيام بمثل ذلك الشيء إن لم يكن مدفوعًا من قِبل شيطانٍ ما لا يستطيع مقاومته أو فهمه» بحسب جورج أورويل.

إنّ الكتابة باعتبارها « صنعة مريعة تقتضي كثرة الجلوس والحرمان من النوم في الليل وعدم الرضا الذي لا نهاية له.» كما يصفها جيرالد، لا تلين لرجل أو امرأة إلاّ تحت شروط موضوعيّة صارمة وفي ظلّ التزام جدّي يستدعي القراءة المكثفة والدربة المستمرّة وخوض التجارب الحياتية بعمق. ونحن إذ ننزّل مضمون المقال في واقعنا الراهن، وفي وطننا العربي عامّة وهاهنا في تونس نقف على بقاء أغلب ما ورد فيه من وجهات النظر الذاتية والغيريّة حول علاقة المرأة بالكتابة والكتاب باستثناء الإحصائيات المتعلّقة بنسب المقبلين على القراءة خاصة في صفوف النساء اللاتي كنّ دوما بما في ذلك التونسيات قارئات نهمات جيّدات.

ليس جديدا أن نشير إلى أنّ تدنّي المستوى المعيشيّ للمواطن التونسيّ ومصاعب النشر وقلّة توزيع الكتاب وغيرها من الأسباب التي ساهمت في تدهور علاقة المواطن التونسي بالكتاب الإبداعيّ والفكريّ في بعض الأوساط المجتمعية وغيابه تماما في أكثرها مقابل ما نلاحظه من اكتساح الكتب المدرسيّة الموازية للبيوت والمكتبات وحتى معارض الكتب الوطنية والدولية، واستقطابها للنصيب الأوفر من الميزانية الضئيلة المخصصة للكتب مزمع شراؤها في الجملة، دون أن يمنع ذلك من الارتفاع المطرد لنسبة الأميّة في المجتمع وتراجع المستوى الدراسي والمعرفي لأغلب المتمدرسين في كلّ المستويات التعليمية. لكنّ الجديد على نحو ما هو الارتفاع المطّرد لنسبة الإقبال على ممارسة الكتابة الإبداعيّة مقارنة بنسبة الإقبال على فعل القراءة، وزيادة عدد الكتب المنشورة في هذا المجال مقابل التراجع الكبير والمستمرّ لعدد القرّاء بما يهدّد المواليد الجدد من الكتب بالتشرّد في شوارع اللامبالاة.

رواية «توجان» لآمنة الرميلي

رحلة أدبية ساحرة من أعماق التراث الشعبي

وئام السعفي - باحثة وناقدة

توجان أرض بربرية مفعمة بالأساطير، تدوّن حكايات عن حب الأرض والانتماء وقصص العشق والصراع على الماء.

تُعدّ رواية «توجان» للكاتبة التونسيّة آمنة الرميلي رحلة أدبية ساحرة تغوص في أعماق التراث الشعبي لقرية تونسيّة تحمل نفس الإسم، وتكشف عن أساطيرها وحكاياتها المتوارثة عبر الأجيال.

«توجان» قرية تونسيّة بربريّة، تقع في الجنوب قرب مطماطة، ويبدو لنا أن لها تاريخا عريقا، وعروشا وكروشا تنتهي عند حيّين متعاديين هما «فصيل» و«الطايشة «ويبدو كذلك أن لهما أصلا إمّا بربريّا، وإمّا عربيّا يعود إلى بني ثابت من «الساقية الحمراء»، كما أنّ إسم توجان وموقعها في الجنوب، يدلاّن على العلاقة الكبيرة بينها والماء، علما وأنّ أغلب القرى التونسيّة الموجودة قرب الماء، تشتقّ أسماؤها بشكل مّا من إسم الآلهة تانيت أو تانجيت، (تونس، تينجة، وحتى طنجة في المغرب) وربّما أيضا توجان.

وقد استطاعت الكاتبة أن تأخذ القارئ بعيدا هناك في الزمان والمكان، في رحلة سرديّة مشوّقة يمتزج فيها الواقعيّ بالخرافيّ، وتصبح الأساطير حيّة نابضة بالحياة في عالم رواية «توجان» التي تلفّ حول حكاياتٍ تُلهبُ خيالَ كلّ منْ يسمعُها؛

حكاية الأرض بمن فيها ومن عليها، فتهب الإنسان الأضداد وكل متناقضات الحياة، الماء والعطش والفرح والحزن والعشق والحقد فيتشكل بذلك من رحمها ويُشكّلها. و»كانت توجان قرية غامضة، مليئة بالأساطير والحكايات الغريبة. قيل أنّها كانت موطنًا لحضارة قديمة، وأنّها تُخفي كنزًا عظيمًا.» (صفحة 10)

جاءت هذه الرواية مميّزة وفريدة في صورتها وقد حاكتها الكاتبة في لبوس فنيّ مخصوص نتيجة الألوان والرموز، فتشتد الصور قتامة كلّما غاص القارئ في حيل السرد والأوصاف التي تروي حالة العطش والقحط والصراع على الماء الذي لم يروِ أهل توجان أبدا ، صراع يشتد لهيبا بين القبائل والعروش فيها، بينما تبتهج ألوان أخرى غير السواد والقتامة كلّما تعمّق القارئ وسبح في بحر معاني العشق والخصوبة.

فالماء عنصرا مقدسا في الفنون والأساطير؛ في الأساطير الإغريقية، ينبثق الإله «أورانوس» (السماء) والإلهة «جايا» (الأرض) من فوضى مائية عتيقة. وهو بذلك يدلّ على الخلق ونشأة الحياة هذا من جهة الصورة الايجابية التي يبثها العشق في توجان ونجد أحيانًا أخرى في الأساطير قوّةً هائلةً وعنيفةً للماء الذي تصارع من أجله قبائل توجان وعروشها. ففي الأساطير الإغريقية، يُرسل الإله «بوسيدون» إله البحر، عواصفًا مدمّرةً وغرقًا كعقابٍ للبشر. وبالمثل، في الأساطير الاسكندنافية، الذي يُعدّ وحش البحر «يُورْمُنغاند» رمزًا للدمار والفوضى.

لا تكمن روعة الرواية ليس في أحداثها قط بل كذلك وخاصة في حبكتها وصياغتها وبتقديم أحداثها وتأخيرها فتتكون مشاهد تخترق البصر وتجنح إلى الذاكرة فتُجسّدُ فعليّا عبر آلية التخييل وكأنما القارئ يعرف الحكاية ويشرع في تذكّرها.. فنحن إزاء كاتبة بارعة تورد بعض الأحداث وتشدك إليها ثم تنقطع إلى حكاية أخرى وتتركك منشدا ومنتبها وباحثا خلف الوقائع الطارئة وعينك على

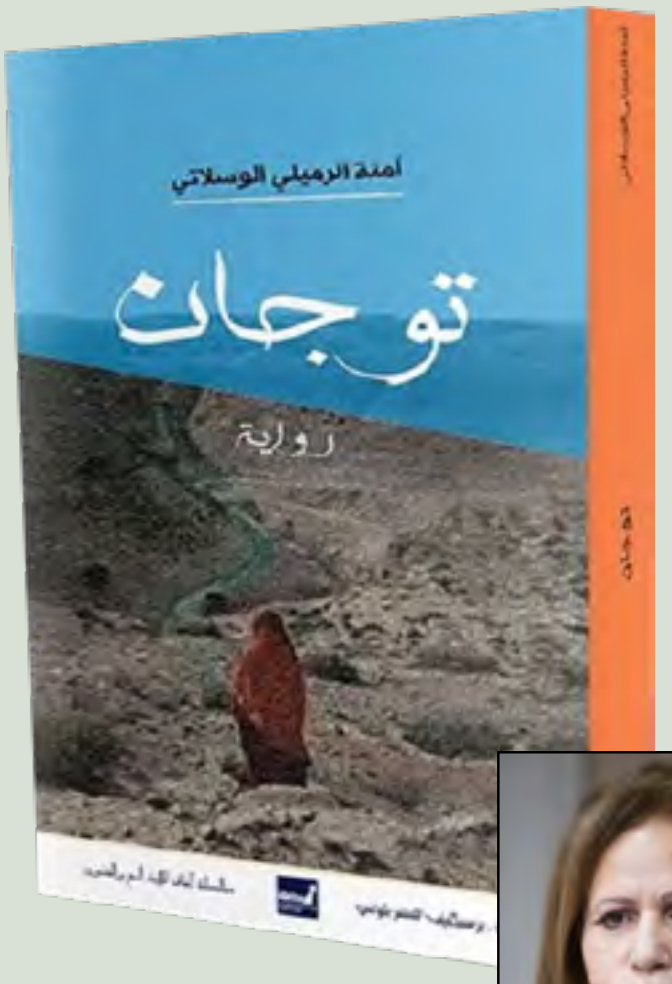

آمنة الرميلي

الخبر الّذي لم يكتمل بعد والذي يباغتك في موضع آخر وقد اشتبك بحكاية جديدة.

تبدأ الرواية منذ عودة سلطان ولد الغزال من كندا وسعيه لملاقاة صحراء بنت لحمر التي كانت واقفة على صخرة، وأثناء سعيه إليها يتم استرجاع الماضي وما فيه من قصة تأسيس توجان من قبل الجد الأول الفارح ولد الغزال ثم انقسام توجان إلى عرشيّ أولاد الأحمر وأولاد الغزال وخصوماتهم التي نشبت نتيجة الماء الشحيح وتجبّر أولاد الأحمر واستيلاؤهم سرًّا على عين ماء سريّة في منزل والد صحراء التي عشقها سلطان. ولأن صحراء أحسّت بالذنب بسبب تحيّل أهلها على الآخرين وثقت بسلطان وباحت له بسرّ عين الماء الّتي أخفتها قبيلتها عن البقيّة والتي ينعم بها أهلها في حين يعاني أولاد الغزال من شحّ الماء.

أحسّ سلطان بالخديعة فهجم على منزل الأحمر ورأت صحراء أن سلطان خان السرّ فراحت تعاتبه «أغدرت بي يا سلطان» وظلت صحراء بعد ذلك تتخبط الألم والغدر لما سوّاه فيها حبيبها فغنّت أغنية حزينة تقول فيها:

«ما نحسبك خوان يا غالي
يا شماتة العدوان فيك وفيّ» (ص257)

وهي الأغنية التي صارت صحراء تغنيها في كل عرس بإلحاح من الحاضرين .

ويصبح سلطان مطلوبا من قبل آل لحمر فيفر هاربا إلى كندا. لكنّه رغم ذلك ظل مسكونا بهاجس توجان وصحراء..وقرر العودة بعد عشرين عاما.

ولّما صار سلطان أمام الحبيبة حذو الصخرة، يظن القارئ أنه وأخيرا تحقق اليوم الموعود، فيكتشف البطل ومعه القارئ أن الزمن قد ضرب ضربته وأنّ صحراء قد ماتت. فصحراء صارت عمياء لا ترى ونظراتها بلهاء لا تعني إلا الخراب والألم.

«وأنا واقف ، مطحونا بالقهر والعجز أمام عينيك المطفأتين بماء مبيض يغشي سوادهما ويفسد صفاءهما...وها أنا واقف يهرسني العجز والقهر ...وها أنت تقفين متردّدة على ظهر الصخرة ...تخبطين بيدك الهواء تنتظرين من يلتقطها ليقودك نحو الأرض...»(ص 272)

توجان قرية تعجّ بالأساطير فيها الغريب وفيها العجيب.

قصة صالح ولد الغزال الذي عشق حيزية بنت الاحمر ورفض أهلها تزويجها منه ، فتزوج امرأة غيرهاو ليلة الزواج حزنت حيزية وأطلقت صرخة لم يسمع مثلها حتى «انفجرت ما بين ماء أولاد لحمر وماء أولاد الغزال، عين مالحة لها في أرض أولاد الأحمر قدم وفي أرض أولاد الغزال قدم « (ص 73). وماتت، فكأن تلك العين المالحة هي غضب على الظلم الذي لحق العاشقين إذ لزم صالح قبر حبيبته حتى لحق بها هو الآخر.»وصار يظهر مرة كل عام بين القبور» (ص 153)

وهي قصة شبيهة بقصة نبي الله إسماعيل في قصة بئر زمزم عندما أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل في وادٍ غير ذي زرع أي مكة المكرمة، وبعد أن نفذ طعام وشراب إسماعيل صارت أمه هاجر تركض بين الصفا والمروة بحثا له عن ماء فإذا بجبريل عليه السلام يفجر نبع الماء من تحت الطفل الصغير فقامت وغرفت منه وسقت طفلها وشربت.

أمّا عن عائشة فهي تلك الفارسة الماهرة في كل شيء لدرجة استطاعت فيها ترويض الذئاب فعندما حجبها والدها عن أعين الناس» جاءت هذه الوحوش لتطمئن عليها» (ص202).

إنّ «توجان» اسم يتردد كصدى عبر الأجيال، حكاية تُروى من جيل لآخر، يحملها نسيم الصحراء ويرددها همس النخيل. قرية تُبنى على عرق الأجداد، وتُروى بدموع الأبناء، وتُزهر بأمل الأحفاد.

و قد أجادت الكاتبة الإحاطة بعبق اللغة العربية الفصحى، تُطرز حروفها لوحة فنية تُجسّد تفاصيل القرية، من بيوتها الطينية إلى شوارعها الضيقة، من بساطة أهلها إلى كرم ضيافتهم. إذ تتجاوز «توجان» حدود الرواية العادية، لتُصبح رمزًا للوطن، لكل قرية عربية عاشت صراعاتها وتحدياتها، لكل إنسان واجه صعوبات الحياة وخرج منها منتصراً.

أمّا الماء في «توجان» فهو نغمة الحياة، وصدى الصراع، في ينابيع توجان، حكاية تروى، حكاية الماء الذي ينبض في عروق القرية، يروي عطش الأرض، ويُنبت من خيراتها.

ماءٌ يروي روح «صحراء»...في ينابيع توجان، حكايةٌ لا تنتهي، حكاية الماء، رمزٌ خالدٌ في ذاكرة الأرض.

ننهي القول إلى كون توجان هي عين الماء عينه، التي توجد في جبل عالٍ حيث كلّ الدلالات فيها توحي بالقوة والشموخ والقداسة لأنّ ماؤها في باطن الأرض طاهر لا تشوبه شائبة ولا يُدنّسه مخلوق، فكل من شرب منه مُنح قوّة وشموخا من مكانه المقدس وماؤها الطاهر الذي نبع من رحم الأرض خصوصا لّما بكى إسماعيل فانفجرت عين ليرتوي منها.. لذلك كثيرا مانجد صراعات قائمة بين القبائل حول الماء محاولة منهم تحقيق التبرك به.

العتبات النصية ووظائفها في رواية «مقبرة الغرباء» لمختار ورغمي

نجاة نوار

لا يقول الأدب شيئا لمن هم راضون بما لديهم».

ماريو بارغاس يوسا

لكل رواية أبواب تطرق حتى يتيسر الولوج إلى عوالمها. وعتبات الدخول إلى هذا النص متعددة. ستأوقف عند العنوان لوحة الغلاف والإهداء وصولا إلى التصدير

* لوحة الغلاف : بين ماء وسماء اصطبغا بنفس اللون؛ زرقة قاتمة يشوبها السواد وينذر بالوحشة ينتصب إلى اليمين رجل يدثره السواد مول وجهه ووجهته شمالا .. رجلاه ثابتتان هنا وبصره مشدود إلى الهناك.. وإلى اليسار يميل حطام مركب يبدو أنه ناء بحمله وأنهكته الأمواج العاتية فاستسلم لقدره... وبين عتمة الماء وعتمة السماء لاحت فجوة شحيحة من ضياء..حلقت بها طيور متفرقة..طيور سوداء أيضا على عكس ما ألفنا .. لم تكن السماء زرقاء صافية و لم يكن البحر هادئا ولم نر نوارس بيضاء تحلق. مشهد يبعث على الوحشة والخراب وينبئ بمصير مجهول لهذه الطيور التي قررت الطيران رغم النوء...فهل تراها تبلغ مرافئ آمنة أم أن السماء والماء سيسطران أقدارا مغايرة؟..

*العنوان: مقبرة الغرباء» جاء بحروف غليظة وبلونين مختلفين تقتحم كالة السواد ويضيء الأحمر القاتم في لفظ الغرباء منبها منذرا. ورد العنوان كعلامة لغوية تعلو النص وتسمح بمقاربته واستقرائه وتفسير دلالاته وتسهم في رسم أفق التوقع لدى القارئ فهو مرآة عاكسة لمضمونه مركبا إضافيا يفصح عن علاقة تلازم بين لفظ المقبرة وماتحمله من معاني الموت الحقيقي والنهايات والحزن والفناء و لفظ الغرباء بما في الغربة من موت ضمني نفسي ..عنوان مستفز يفتح باب التاويل على مصرعيه مركب يحيلنا لفظا إلى مكان بعينه أثار منذ فترة ضجة واسعة في جنوبنا المنسي..مكان يشعرنا بالخوف والتوجس لما التصق به من معجم الحرقة والتهميش والجريمة والفقر.

مختار ورغمي

ايحاء سيؤكده الكاتب في الفصل الأول حين تتواتر القرائن النصية فيدفن « البرني» بهذه المقبرة التي اعتبرها ابنة البحر الذي يتكفل بتوفير الزاد لها كلما غرق مركب ولفظ البحر الجثث على شواطئ هذه المدينة الحالمة...وقد تطوع أحد السكان وشيدها ليجمع فيها جثامين من انتهت رحلتهم قبل بدايتها» ..لكن السارد يخاتلنا و لن يعود لذكرها ببقية الفصول بل إنه نوع الأمكنة ونقل الأحداث إلى الضفة الأخرى ليفتح قبورا أخرى كأنه يقول بأن ال «هناك» هو المنفى و هو المقبرة الحقيقية والثقب الأسود الذي سيتسع ليلتهم أحلام وأعمار كل من تمسكوا بوهم « الجنة الموعودة».

*الإهداء: لم يكن بالرواية مجرد تقليد دأب عليه الكتاب منذ بدء التاليف. إنما حمل خاصية تستدعي الدراسة لما سيساهم به في إنارة النص وبعض ماتعتم من مضامينه. « إلى روح أخي الذي قتلته الحكومة المتهاونة.. وإلى كل الذين ماتوا بسبب الوباء اللعين. لمن قتلوك بيني وبينكم ثأر لا يسقط بالتقادم...»

تهديد وتوعد جاء بلهجة مباشرة صدامية ينبئ عن حزن دفين وألم وغضب سيتردد صداه بين فصول الرواية وستنطق به الشخصيات على اختلافها.

*التصدير: انتقى الكاتب لكل فصل من فصول الرواية تصديرا شعريا. لشعراء اتسمت كتاباتهم بالحداثة والتمرد. لا على انماط الكتابة الإبداعية فقط بل وعلى الانظمة المتحكمة في الرقاب. ولعل أهم مقتطف كان للشاعر مظفر النواب ومن لا يعرف نصوصه السياسة التي عرفت بمقاومة الظلم والقهر والديكتاتورية المقيتة.

يقول» وطني انقذني .. رائحة الجوع البشري مخيفة» ..

هذا الاستدعاء لنصوص شعرية مختلفة من أزمنة وأمكنة مختلفة(ع الرحمان الأبنودي/ على لسود المرزوقي/ مكرم الصويعي/ هندة محمد...) وإن أحالنا على نصوص أخرى لما حققه من تناص زاوج بين النثر والشعر وجعل العلاقة بينهما متكاملة متماهية مؤكدا بالضرورة أن الكتابة هي حدث شعري بالأساس. فإنه حقق برأيي بعدين. الأول هو تسليط نقاط ضوء وفتح نوافذ نطل عبرها على النص الروائي لأن هذا الانتقاء لم يكن عفويا بل نتيجة بحث واختيار.. وكل اقتباس يخفي رؤية و يضمر تصورا لذلك أعتبرها نصوصا موازية تتنادى لتجسر العلاقة بينها وبين المتن تختزله حينا أوتشي به أحيانا. أما البعد الثاني فهو تعزيز النص وفك عزلته وإضفاء دينامية جديدة قد تحفز القارئ على البحث عن النص الأصل وكيفية هجرته من سياقاته إلى سياقات جديدة ومن زمنه إلى أزمنة أخرى..كما يشي بنزعة تجريبية تفتح جنس الرواية على بقية الأجناس الإبداعية..

أما مضمونا فقد عبرت هذه التصديرات في مجملها عن الحزن والانكسار الموصول بخيبة أمل وموت للأماني في مواطن . كما عبرت عن الرفض والتمرد في مواطن أخرى. مما يجعل النص الروائي يطل بالضرورة على مناخات الرفض فالسارد سيكشف عامدا فساد الأنظمة وكذب الساسة ونفاق المتملقين.

العتبات النصية بمقبرة الغرباء التاويل والدلالة

يكتب الراوي نصه لا لأجل التسلية وتجزية الوقت بل كانت حروفه صرخات ألم واحتجاج وغضب ورفض وتصادم مريع. إذ تعيش الشخصيات صراعا ملحميا مع ذواتها ومع الآخر مع المجتمع والأنظمة في زمن ظالم أبى إلا أن يقبر أحلامهم البسيطة و أفراحهم الصغيرة ويسوقهم قسرا إلى مدارات التشظي والاغتراب والموت بأنواعه.

دلالات الأسماء

ولد الحفيانة / كماتشو/ الزقية/ البرني) هي كنى لابطال هذا النص جمعتهم تفاصيل ال هنا: من فقر وبطالة وموت بطيئ ووحدهم حلم ال هناك بما يلوح به من غنى وعمل و حياة هانئة. كائنات أوجدها خيال الكاتب وزرع بذورها بتربة النص فنفخ فيها السارد روحا وبث فيها حلما ..تطحنها رحى الحياة القاسية.. أبدع الكاتب في رسم ملامحها وتصوير أفعالها وأقوالها حينا والولوج الى اعتمالات عمقها النفسي أحيانا.. ترصد الرواية حياة هؤلاء الفتية المنسيين كناية عن كل الذين يعيشون على تخوم الحياة وعلى حافتها ينهشهم الفقر والبطالة وتدفعهم الحاجة الى الاختلاس والسرقة والعنف والجريمة.. تصور معاناتهم وتحتفي بتفاصيلهم المهمة .. فإلى أي مدى سيحقق أسئلتهم الحقيقية و يوصل صدى احتجاجاتهم ضد القهر الاجتماعي والتمييز العنصري والحيف الطبقي والاستغلال الممنهج.؟؟ وهل نجح في كشف حقيقة اغترابهم وموتهم ؟

دلالة المكان

الرواية وإن اوحى عنوانها بأنها رواية المكان فإن المتن يؤكد بأنها رواية الإنسان .. ذاك الذي عاش اغترابا في موطنه فتعمقت الهوة بينهما ليقرر الهروب..والارتحال الى الضفة الأخرى..فإذا بالغربة تتسع والقبر يضيق اكثر.

فمن «واد القمح» الذي صار(واد غير ذي زرع) باستيلاء غالب وغريب على أراضيه ومصادرة خيراته إلى موانى لمبيدوزا وإيطاليا وفرنسا وغيرها من مدن الضفة الأخرى يتسلل الآلاف سنويا في رحلات سرية عبر قوارب الموت.. هو هروب الجنوب تجاه الشمال .هروب الشرق نحو الغرب. هروب الهامش نحو المركز..فتغدو قرية واد القمح بمختلف تناقضاتها صورة مصغرة عن أغلب الدول العربية والافريقية الرازحة تحت نير الظلم والتخلف والتهميش والاستغلال. يطمح جل سكانها في القفز عن ظهر مركبها المترنح نحو شواطئ تغري بالأمان.. فيحاولون بذل الجهد والمال والأرواح في سبيل حلمهم بتجاوز هامش الحياة والوصول إلى رتبة مواطن بذاك المركز....حلم مني باخفاقة مدوية بالرواية و يطرح عميقا سؤال الهوية.. فالبرني مثلا ذاك الطائر الذي حلق به جناح الحلم في سماء غير سمائه ليصل إلى أرض غير أرضه لم تشفع له جرأته ولا شجاعته ولم يقو على الصمود فسريعا ما يكسر جناحه لتلفظه تلك الأرض الغريبة على متن جناح اصطناعي ..يكنسه الغرب ويبعده المركز حين اختل توازنه وفقد البوصلة. ليعود الى الجنوب ..الى الشرق الى الهامش الذي أنكر عليه تمرده ومحاولاته للهرب ولم يغفر له انشقاقه عنه فتركه..ليموت وحيدا على بقعة من بقاعه..ويدفن في مقبرة للغرباء.. فيستسلم البرني لذلك الثقب الأسود يبتلعه... كأن الكاتب يقول بأن هذه الذوات مهددة بالتدجين محكوم عليها مسبقا بالتبعية والرضا برتبة الهامش

فيدين التاريخ والثقافة إدانة يصوغها بوعي حاد وينجح في كسب تعاطف القارئ ولفت نظره إلى تيمات عدة وأسئلة حارقة تؤرقه.

ألا يحق لهؤلاء التواجد بأماكن غير أماكنهم؟ وأن يرتقوا بنزاهة درجة في سلم التراتب المجتمعي؟؟ ألا بحق لهم ذلك حتى في الأحلام؟؟

ومن هموم ابن البلد البسيط يعبر الكاتب عن هموم وهواجس الكائن البشري أينما كان ..فالأسماء تحمل رمزيتها التي جسدت صورة الرفض والصراع بين ابن الحفيانه والزقية وكماتشو ضد وطن اختزله غالب وغريب..فبات سوطا مسلطا على الرقاب كرس قطيعة ستتجلى في فعل الهروب .لكن أين المفر ! أبطال دونكيشوتيون سعوا لمحاربة طواحين الهواء بحثا عن هوية وحقيقة وحلم فتمزقت بهم السبل بين الشمال والجنوب..

ولعل نقطة الضوء الوحيدة وسط هذا السواد هو ما نشأ بين هؤلاء العابرين الذين وحدهم الحلم ووحدهم المصير من صداقة وألفة جعلتهم يرأفون لحال بعضهم البعض فيبحثون عمن فقدوا حين تشتت شملهم وتفرقت بهم السبل ومنحوا لبعضهم الاهتمام الصادق واللمسة الحانية حين نهشهم برد المنافي..

الكتابة الإبداعية رؤية وأداة تغيير

بالنص تراءت هموم تشغل الذات الكاتبة وتقض مضجعها وتملؤها بالكثير من المرارة والألم ..منها قضايا وجودية مؤرقة ومنها قومية شائكة ومنها انسانية عامة تمس المصير الإنساني في عالم يحكمه قانون الغاب . هموم أفضى بها الكاتب في روايته كأنما ليتخلص من عبء يعانيه ذاتيا وموضوعيا محليا وقوميا وإنسانيا.. وإذا عدنا إلى زمن كتابة الرواية وعرفنا بأنها كتبت في زمن انتشار وبناء الكورونا وما احدثه بالعالم من خراب ..لن نستغرب هيمنة تيمة الموت التي وان طغت على الرواية فإني أراها تتجاوز بعدها المادي المحسوس إلى موت رمزي هو موت الضمائر والنفوس وموت القيم والاخلاق وسقوط القوانين والتشريعات..انحياز الكاتب الى الفئات المهمشة ومعانقة قضايا واقعه هو انتصار للمستضعفين وللانسان المقهور الذي وجد بين فكي قوتين ..قوة القدر القاهر وقوة البشر الظالم وان تخييلا بجعلهم ابطالا على الورق... الموت كان هو القدر المتربص بأبطال الرواية..حين عجز السارد عن تحقيق التوزيع العادل للحياة وللثروة وللسعادة وللأمان ينصفه الوباء الذي حقق توزيعا عادلا الموت. فيقول في ص. 19:» هذا الوباء اشتراكي يؤمن بالتوزيع العادل الموت «/ ويضيف:» سنوات من التمييز بين الناس والجهات أسقطها الوباء..»..

تصوير شعري للموت..وتلك وظيفة الإبداع..تجميل القبح..بتصويره بطريقة مؤثرة وليس أدل على ذلك من وسم أحد فصول الرواية ب» العشاء الأخير» وما قد يحمله هذا الرمز من تأويلات.. تجميل لا يكون الغرض منه التطبيع مع هذا القبح ..بل دعوة الى دراسته ومزيد البحث في اسبابه العميقة وأيجاد الحلول الجذرية له.

خاتمة

العنوان و لوحة الغلاف والإهداء والتصدير وأسماء الشخوص والأماكن مثلت نصوصا جانبية أو نصوصا موازية طيعة..انقادت الى المتن وعضدته ووشت بالكثير من ملامحه. أما نص المتن فقد تواشجت به القصص واختلفت وتنوعت لتصب في قالب فسيفسائي..وإن مثل لوحة لامست المجتمع بمختلف ارتساماته الواقعية والذهنية والنفسية فإنها اخرجته في قالب إبداعي مبتكر. ولأن القبح لا يصور فنيا إلا من أجل نفيه جماليا ولا يتم الإيغال في تجسيده إلا لبيان هول كارثيته وضرورة تجاوزه ولو تخييلا. وجب أن تضطلع الكتابة بوظيفتها كأداة كشف وتعرية على أن ترفدها بقية الفنون.

اليومي في قصيدة النثر :

قراءة في ديوان «نيرفانا» للشاعرة سلوى القلعي

أسمهان الماجري

إن قصيدة النثر غالبا ماكانت قصيدة الذات في أبسط تجلياتها أي قصيدة اليومي العادي البسيط والصادق والعميق في ذات الوقت، إن قصيدة النثر اليوم التونسية أو غيرها صارت شبيهة بالسيرة الشعرية الخفيفة الوقع كالريشة، في شكل جرعة أو قرص أو كبسولة لغوية موجزة غالبا، لكن تنفذ إلى القراء كثيرة وكثيفة وكثرتها في معانيها لا لغتها وكلماتها، ويعترف غازي القصيبي بأن "فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة" فالحياة اليومية العادية والروتينية والمتكررة التي تحمل كل معاني البساطة تغدو فنّا من الفنّون المُلازمة للإنسان واللصيقة بيومه يقول الناقد المصري جابر عصفور : «والحياة نفسها عمل فنّي تحكمه الأصول التّي تحكم بيت الشعر ولحن الموسيقى وصور المصور وتُخرج الحياة في جملتها من الفنّ الإلهي».

فكيف حولت الشاعرة التونسية سلوى القلعي الحياة اليوميّة إلى فنّ؟ إلى شعر؟ إلى قصيدة نثر تحديدا في ديوانها «نيرفانا»؟

الاحتفاء بالأنثوي اليومي

إن الشعر فن صلصالي ككل الفنون يتشكل حسب تاء التأنيث من عدمها وذلك ليس من باب التفوق أو ما شابه ما بين الجنسين ولكن من باب الخاصية الفطرية لكل من الجنسين دون أن يعلو أحدهما عن الآخر أو العكس.

يقول نزار قباني : كوني حيث تريدين، ناقشي القضايا السياسيّة واشتمي الرؤساء وشجعي الفرق ثم تألقي والبسي الكعب العالي وضعي المناكير» .

إن هذا الجانب من المرأة جانب الأنثى، جانب الأناقة تحتفي به الشاعرة سلوى القلعي احتفاء الشعري باليومي جماليا وفي طقس فلسفي بسيط يُعاش بحب وإقبال على الحياة، تقول في قصيدة ليلة الميلاد : « أكون سيدة متسلطة

وأحب ذلك
ليلة الميلاد
معطف الفرو والفستان القصير
وأحمر الشفاه بلون القرار
وعطر الأنا

هذا طقس من طقوس الشاعرة الأنثى، الذي تحتفي فيه بأنوثتها من خلال اللباس والألوان والرائحة .

يقول بيت فرون في كتابه « الرائحة : أبجدية الإغواء الغامضة» : « لكل إنسان جواز سفر شمي يميزه عن غيره» وللشاعرة سلوى القلعي جوازها الشمي الذي تسافر من خلاله في الطريق الطويل للقصيدة سفر الذات، سفر الآنا، فالعطر رمز من رموز التفرد والاختلاف والبصمة العطرية يقول بيت فرون كذلك : « من بين سائر الحواس، تلوح حاسة الشم الأفضل تجاوبا مع وظيفتها كحاسة، فهي الحاسة التّي تمكنّنا من التمييز بين ما هو ذاتي شخصي أناني، وما هو غيري أو غير شخصي»

وبهذا تحتفي الشاعرة ببصمتها العطرية الفردية ،كما تحتفي بلون أحمر شفاهها وهي القائلة في قصيدة آخر : من سيقنع سيدة من «أربيل»

أن أحمر الشفاه أجمل من بندقية روسية على كتفها..»

هذه الصورة الشعرية التي ترتقي بالأنوثة إلى المصاف الأول في حياة المرأة وإن كان ذلك ليس بالضرورة إلغاء للجوانب الأخرى الوجودية والفكرية والثقافية من حياة المرأة .

تقول كذلك في قصيدة « فقط فكري...» : «اذهبي لصالون الحلاقة دائما»

في دعوة صريحة للمداومة على الجانب الأنثوي الجمالي من الحياة اليومية للمرأة الأنثى ثم تقول بعدها في نفس القصيد :

« أجيبي ...
إن قالت لك فتاة الصالون
بينما تضع لك الأيلاينر بأن
عيونك ضيقة ...
قولي إنها كافية لقتل حصان
جامح ...
وإنها كافية لرصد كل
الجغرافيا
وهي قادرة على تغيير مجرى
المسيسبي لو شاءت»

في هذا المقطع الشعري تبني الشاعرة كلماتها على الروح الأنثوية الطاغية الواثقة بجمالها في كل تجلياته حتى دون تلك الإضافات البسيطة التي تضيفها بعض مستحضرات التجميل لوجه المرأة، المرأة الأنثى الأزلية التي كانت جميلة ما قبل ظهور مستحضرات التجميل وما شابه تلك المرأة الجميلة وإن كانت دون رتوش الصالونات،صالونات التجميل.

وتقول الشاعرة في قصيد « كم سامحتك قبل هذا الصباح»

: « اقتفيت ضوءك
وضعت زيوتا عطرية
على شعري المجعد ...
وحبا كبيرا ... كبيرا ...
وغراما أسكنته عيوني
حتى أنني أفرغت قارورة غسول في فمي... لفمك
لم يكن الغسول نعناعا ولا فرولة
كان كل ما تعلمته من شعر وغزل»

الشاعرة تفصح على شكل شعرها ذلك الشكل الواقعي اليومي الذي نعرفه لسلوى القلعي والذي كان في شكل فني على غلاف ديوانها «نيرفانا» بداية تتحدث الشاعرة عن عوالم المرأة الأنثى من خلال رمزية الزيوت العطرية في عالم الأنثى وما تضيفه من أنوثة ورائحة أنثوية للمرأة والرائحة سر من أسرار الإغواء كما سبق وذكرنا، لكن سرعان ما تخرج من صورة المرأة الأنثى إلى صورة المرأة الشاعرة، المرأة المبدعة الكاتبة وبعد أن جاء ذكر زيوت

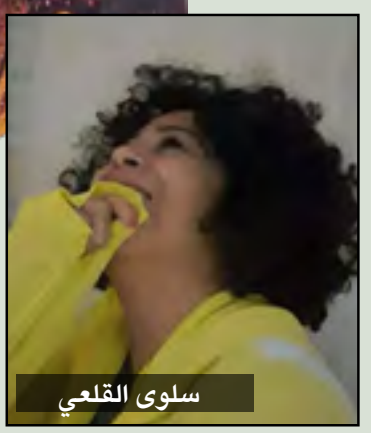

سلوى القلعي

الشعر على حقيقتها دون ترميز جاء ذكر غسول الفم لكن جاء مجازيا ،عن طريق الرمز لا الحقيقة ذاك الغسول الشعري والفنّي والإبداعي ،من شعر وغزل وما الغزل في النهاية إلا نوع من أنواع الشعر نقتاته عند الوقوف في الحب، أو عند الاحتراق ولها وعشقا وصلابة.

الشخصيات الواقعية في شعر سلوى القلعي

إن التحدث عن شخصيات حقيقية في قصيدة النثر هي سنة شعرية عرفتها قصيدة النثر منذ البدايات، فالشاعر اللبناني عباس بيضون مثلا تحدث عن الكثير من الشخصيات الواقعية الصديقة ومن عالم الشعر من ذلك أنه أفرد شعريا بعض النصوص حول أصدقائه الشعراء كبسام حجار الذي استدعاه من خلال رمزيات تحيل عليه، وشخصية الكاتبة مي غصوب مثلا التي استدعاها مباشرة بالاسم واللقب، والشاعرة سلوى القلعي حافظت على هذه السنة الشعرية من واقعية قصيدة النثر بأن أهدت قصيدا لشاعرة من صديقاتها المقاربات وهي الشاعرة المغربية « ليلى ناسيمي» والقصيدة بعنوان «ثورة فكرة» لكي تختزل بذلك ليلى في صورة المرأة الفكرة، المرأة الثائرة وهو ما عرفت به ليلى فعلا فتقول في قصيدها :

«هي من تخضد قلمك ..
وتأمرك
أن أعدني إلى دمك
وقلني
كما يفعل الشعراء...»

وإذ بسلوى تقولها فعلا كما يفعل الشعراء جاعلة من ليلى الواقعية، ليلى القصيدة المنقوشة بين دفتي كتاب.

توظيف بعض الطقوس الفنية اليومية في شعر سلوى القلعي

إن الشعر تفاصيل، هي كل ما يحيط بنا، ولعل من التفاصيل التي تناولتها الشاعرة وأعادت صياغتها، الاقتباس من الأغاني والقصائد المتداولة من ذلك أغنية عُلية التونسية وهي المأخوذة عن قصيدة الساحرة للشاعر جعفر ماجد « فحسبي أنك لي شاعر وحسبك أني أنا الساحرة »

بينما تقول سلوى القلعي :
« هذا البيانو العجوز
حسبه أنك لي عازف
وحسبك أني أنا الراقصة
فقط على الكلمات »

وبهذا تختزل سلوى القلعي السحر في الرقص، لكن تختصر الرقص بدوره في معنى مجازي لا في معنى مباشر وهو الكتابة، كتابة الشعر تحديدا.

وفي قصيد «مرات» استدعت الشاعرة المغنية (شاكيرا) في سياق يومي روتيني لكن في نفس الوقت يكشف طريقة تفكير عينة من الرجال فتقول :

« مرة...
قال جارنا لزوجته...
أنت حداثية وهذا لا يعجبني...
سمعنا الباب يصفق له ...
لكنها كانت من خرج...
فيما مكث يحوقل
حين أشرقت « شاكيرا »
بغتة على التلفاز...
« ملعون أبو رشاقتك يا شقية
قال...»

هذه الأسطر الشعرية تطرح ازدواجية فكرة الحداثة عند الرجل ما بين زوجته أو امرأة أخرى غريبة وهي تختزل ربما ثقافة عربية كاملة .

إن الشاعرة سلوى القلعي شاعرة اليومي الذي يُعاش بطريقة شعرية وهي القائلوة أيضا في قصيد « بسيكوباتيا »

: « أنا سيدة قديمة جدا ...
أفتح صباحاتي من كل نافذة يومية »

نخلص إلى أن قصيدة النثر قصيدة بسيطة لكن عميقة، عوالمها تلقائية وجميلة لا ملغزة وغامضة، وأن الشعرية القصوى فيها تكمن في شعرية الفكرة قبل كل شيء.

نبضات الوجدان في أروقة الشجن

قراءة في المجموعة القصصية «يوم في برواز» للكاتبة والأديبة اليمنية أ/ نبيهة محضور

مجدي شلبي (*)

في «يوم في برواز»، تنبض القصص بروح إنسانية عميقة، تتجلى فيها مشاهد الحياة كلوحات تأسر الوجدان وتوقظ مشاعر الشجن، حيث تتنقل القصص بين عوالم واقعية ورمزية، مجسدة تفاصيل الألم والأمل، وكأنها نبضات خفية تتردد في أروقة المشاعر التي نشعر بها جميعًا؛ فكل قصة في هذا البرواز هي انعكاس لجزء من الذات، تأخذنا في رحلة داخلية، حيث يلتقي الحنين بالواقع، والشعور بالتجربة الإنسانية على نحو يتماهى مع التأملات الصامتة.

وهو مادفعني لاختيار عنوان «نبضات الوجدان في أروقة الشجن» لقراءتي هذه، والتي هي في الحقيقة ليست مجرد قراءة في نصوص المجموعة، بل هي استكشاف لجوانب النفس التي تبوح بها القصص، وتلك النبضات التي تترجم صراعات الروح، انتصاراتها وانكساراتها، لتروي عطش القارئ وتدفعه لتأملات تنبثق من أعماق الألم لتفتح بابًا نحو الأمل.

وقد لفتني من خلال الاطلاع على هذه المجموعة القصصية «يوم في برواز» أن النصوص تتميز بتنوعها وتكاملها، حيث تجمع بين القصة القصيرة التقليدية والقصص القصيرة جدًا، وتتناول مواضيع إنسانية متعددة بعمق مشاعري، وتتجلى أساليبها في التوازن بين بساطة الأسلوب وعمق الأفكار، وتأتي القصص مشبعة بالرمزية والبعد النفسي، وهكذا تقدم الأديبة لوحات قصصية مليئة بالحنين، التأمل، والألم أحيانًا، متمردة على الواقع الاجتماعي الذي تصوره بحرفية، ومن أبرز المواضيع التي ناقشتها المجموعة؛ على سبيل المثال:

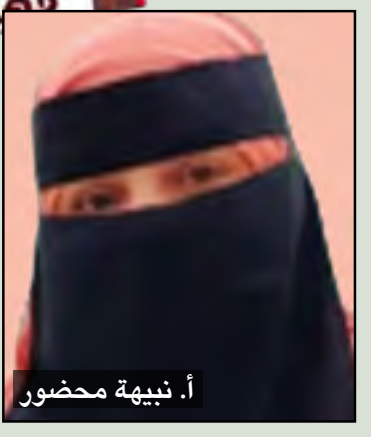
أ. نبيهة محضور

الإنسانية والتفكك المجتمعي كما ظهر هذا في قصص مثل «أنين» و»عري»، حيث تبرز الكاتبة انعدام العدالة والظلم الذي يتعرض له الإنسان من خلال قصص قصيرة ذات بعد إنساني عميق.

والرمزية والنفسية كما ظهر في القصص القصيرة جدًا، مثل «بصير» و»قناع»، حيث تتجلى الأبعاد النفسية والرمزية بشكل مختصر وفعّال، وتحمل الكلمات دلالات تتجاوز الظاهر إلى ما هو أعمق وأبعد.

وهكذا تُعد «يوم في برواز» مجموعة قصصية غنية بأبعادها النفسية والاجتماعية، ومقدمة بأسلوب بسيط ولكنه مليء بالمعاني العميقة، التي تحفز القارئ على التأمل والتمعن في تفاصيلها، وفي الصور البلاغية والرموز التي زخرت بها قصص المجموعة.

بعض الشواهد من الصور البلاغية والرموز

الصورة البلاغية في قصة «بصير» (صفحة 24): «رشق فؤادها بسهام كلماته»، حيث تُشبَّه الكلام الجارح بالسهام التي تخترق القلب، مما يضيف شعوراً بالألم العاطفي، السهام هنا ترمز إلى الأثر النفسي العميق للكلام الجارح.

والصورة البلاغية في قصة «لعنة» (صفحة 37: 38): «تبحث عن غراب يواري سوءتها»، هنا تم تجسيد الغراب الذي يرمز للموت أو الفقدان وهو يواري سوءة البطلة، مما يعكس مشاعر الألم الناتج عن الخطيئة والندم والحزن الشديد، وهو تناص مع الآية 31 من سورة المائدة.

والصورة البلاغية في قصة «أنين» (صفحة 39): «التحفوا الليل»، هنا تشبيه الليل بالغطاء الذي يلتف حولهم؛ فيغمرهم بالحزن، ويشعرهم بالبرد النفسي، والليل يرمز للعزلة والوحدة التي تسيطر على الشخصيات التي تعيش الألم والحرمان.

والصورة البلاغية في قصة «قطعة حلوى» (صفحة 55): «لا أريد أن أكون كقطعة الحلوى تلك»؛ هنا يتم تشبيه الذات بقطعة الحلوى التي تغزوها الذباب؛ فتفقد قيمتها في ظل المتغيرات المحيطة، وقطعة الحلوى هنا ترمز إلى الذات المهدورة أو المستهلكة في سياق المجتمع، ويعكس هذا رفضها للتحول إلى شخص فقد قيمه وقيمته.

والصورة البلاغية في قصة «بصمة» (صفحة 89): «سنوات عمري لم تكن سوى بصمة»، يتم تشبيه حياة الشخصية ببصمة، مما يعبر عن الفكرة العميقة للوجود الفردي وآثاره البسيطة، والبصمة ترمز للأثر الذي يتركه الإنسان في حياته.

هذه مجرد أمثلة من الصور البلاغية والرمزية، المعبرة عن المشاعر الإنسانية المعقدة والصراعات النفسية.

قراءة في صورة الغلاف وعلاقتها بالمتن

صورة الغلاف هي بمثابة مفتاح لفهم عالم القصص، فهي تقدم لمحة سريعة عن الأجواء التي تسود المجموعة، وتثير فضول القارئ وتشجعه على الغوص في أعماق القصص، وتعتبر صورة غلاف المجموعة القصصية «يوم في برواز»؛ لوحة فنية بحد ذاتها، تحمل في طياتها دلالات عميقة ترتبط بشكل وثيق بمحتوى القصص، حيث تسود الألوان الدافئة كالبرتقالي والأحمر، مما يوحي بحرارة المشاعر والعواطف التي تتناولها القصص، وفي الوقت نفسه هناك لمحات من الألوان الباردة، كالأزرق الداكن للخلفية، ما يعكس جوانب من الحزن والشجن التي تتخلل الأحداث، وتظهر شخصيتان تتراقصان في وسط المدينة، ولكن بتحركات غير تقليدية، وكأنها تطفو في الهواء، وهذا يعكس دعوة للدخول في عالم خيالي، وتبدو المدينة ذاتها وكأنها مزيج من الواقع والخيال، والماضي والحاضر، ويظهر بقايا القمر في الجزء العلوي من الصورة، ربما ليشير إلى دور الذكريات في تشكيل هوية الشخصيات، وهو ما يؤكد حقيقة توافق الصورة بشكل كبير مع محتوى المجموعة القصصية، حيث تعكس قصصها المشاعر ذات الطابع الإنساني العميق.

كلمة ختامية

وفي ختام هذه القراءة المتأنية، نغادر المجموعة القصصية «يوم في برواز» وقد تركت نبضات الوجدان صداها في أعماق أرواحنا، بعد أن تجولت بنا قصصها في أروقة الشجن، حيث تماهت الكلمات مع الأحاسيس الإنسانية العميقة، فتجلت لنا الحياة بمفارقاتها وعمق مشاعرها، وكانت كل قصة مرآة تعكس وجعًا وصمودًا، وتنسج بين السطور حكمة خفية تستدعي التأمل.

إن هذه المجموعة القصصية لا تُقرأ فقط، بل تُعاش، حيث تأخذ القارئ في رحلة بين الحلم والواقع، بين الألم والأمل، لتتركه محملًا بتأملات جديدة عن معنى الوجود وصراعات الروح، وكما أن البرواز يحفظ الصورة في ذاكرتنا، فإن هذه القصص تحفظ فينا مشاعرها، وتبقى نبضاتها تتردد في أروقة وجداننا.

(*) عضو النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر

«تغيير الحياة» أو «فنّ العيش» الجديد

محادثة مع إدغار موران

تدوين المحادثة: جان فرانسوا دورتي

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

جان فرانسوا دورتيي

لا تمثل عبارة « تغيير الحياة « ، شعار الشاعر أرتيير ريمبو، اليومَ، تطلّع فرد بل يجب أن يكون شعار عصرنا. تواجه الإنسانية تحدّ كبير :هي تدعو إلى سياسة حضارة تفترض أيضا إصلاحا للحياة.

تخصّصُ جانبا كبيرا من مؤلفك « الطريق» لتعريف « إصلاح الحياة» الذي يصاحب ويبرّر سياسة التحديّات الكبرى للإنسانية. ماذا تعني بذلك؟

إ.موران:

فعلا، يرسم « الطريق» الذي أقترحه أفقا آخر غير الأفق الذي يقودنا إليه التاريخ المعاصر. إنّ كوكب الأرض منخرط في مسار جهنمي يقود الإنسانية نحو كارثة متوقّعة . يمكن لتحوّل تاريخي وحده أن يسمح بحلّ الأزمات- الكبرى والمتعدّدة- الإيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تهدّد وجود حضاراتنا بالذات التي هي في طريق التوحيد.

لا أرسم في كتاب « الطريق» « برنامجا» سياسيا ، بالمعنى الحرفي للكلمة ، بل مسلكا ، طريقا مصنوعا من ترابط عدّة طرق يجب علينا التوجّه نحوها من أجل مجابهة تحدّي أزمة الإنسانية.تمرّ « سياسة الإنسانية « هذه عبر إصلاحات اقتصادية وسياسيّة وتربويّة وإعادة تكوين الفكر السياسي وهو ما أحاول رسم حدوده. تعني هذه الإصلاحات للمجتمع أيضا « إصلاحا للحياة». إنّ التطوّر مكنة فتاكة للإنتاج / الاستهلاك / التدمير تهرع بنا نحو أزمات إيكولوجية واقتصادية . يجد هذا المسار ما يوازيه على الصعيد الفردي : تطوّر الفرد المنظور إليه بوصفه بالأساس كمّيا وماديا ، والذي يؤدّي لدى الميسورين إلى سباق محموم نحو « الأكثر دوما» وحتى إلى شعور بالضيق داخل رغد العيش ، مقولة انحطت إلى الرفاهية فحسب. وأيضا ، هل ينبغي أن نروّج للرفاه الذي يتضمّن في الآن نفسه الاستقلالية الذاتية والاندماج في إحدى المجموعات، والتحكّم في التوقيت الذي ينحطّ بزمننا الحيّ، ويختزل تلوّثنا الحضاري الذي يجعلنا مرتهنين للتفاهات والمنافع الوهميّة.لقد اعتبرت المجتمعات الغربية لوقت طويل مجتمعات « متحضّرة» بالنسبة إلى مجتمعات أخرى ، ينظر إليها بما هي بربرية . وبالفعل ، فإنّ الحداثة الغربية أنتجت هيمنة بربرية جليدية ، مجهولة ، بربرية الحساب والمصلحة والتقنية ولم تقدر على إخماد بربرية داخلية إلاّ قليلا ، بربرية هي صنيعة عدم فهم الآخر ، والكراهية واللامبالاة.

«إنّ إصلاح الحياة هو في الآن نفسه مغامرة داخلية ومشروع حياة ومشروع جماعيّ.» (إ. موران)

«إنّ التطلّع إلى هذا الفنّ الجديد للعيش هو بصدد الظهور في المجتمع بموجب الشرور الناتجة بالذات عن أنماط حياتنا الراهنة. إنه انطلاقا من هذا الانتظار يمكننا رسم ما يمكن أن يكون إصلاحا للحياة.» إ. موران)

« المهم أكثر هو أن نعيش حياتنا لا أن نلهث وراءها» (موران).

«يقوم «العيش الكريم» على بعض المبادئ : أولوية الكيفية على الكميّة، والكائن على الملكية، ويجب أن تكون الحاجة إلى الاستقلالية والحاجة إلى الجماعة مجتمعة، وعلى شعرية الحياة وفي النهاية الحبّ الذي هو قيمتنا ولكنه أيضا حقيقتنا الأسمى.» (موران).

إنّ المجتمعات الراهنة قد حققت ما كان يعتبر حلما بالنسبة إلى أجدادنا: الرفاه المادّي و رغد العيش . وقد اكتشفنا في نفس الوقت بأنّ الرفاه المادّي لا يجلب السعادة. بل الأسوأ ! فقد اتضح أنّ الثمن الذي يجب أن ندفعه مقابل الوفرة المادّية تكلفته البشرية هائلة : توتّر وسباق مع الزمن وإدمان وإحساس بالفراغ الداخلي ....

لقد ظللنا ، إلى جانب ذلك، وعلى الصعيد الإنساني في بربريّة: يعبّر العمى عن الذات وعدم فهم الآخر عن نفسه، على صعيد المجتمعات والشعوب مثلما يعبّر عن نفسه على صعيد العلاقات الشخصية ، بما في ذلك صلب الأسر والأزواج . كثير من الأزواج ينفصلون وتتمزّق علاقاتهم ؛ وتشبه هذه النزاعات، النزاعات الحربية القائمة على الكراهية ، ورفض فهم الآخر. بينما لا يفعل أزواج آخرون سوى التواجد.

يهيمن في المؤسسات والتنظيمات كتل ومجموعات منظّمة بموجب الحسد والضغينة وأحيانا الكراهية. تسمّم هذه الدوافع والأحقاد في الآن نفسه حياة أولئك المحقود عليهم أو المكروهين ، ولكن أيضا حياة الحاقدين والكارهين . وبرغم العديد من وسائل الاتصال ، فإنّ عدم الفهم تجاه الشعوب الأخرى يتنامى.

إنّ النزعة اللاإنسانية والبربرية في كلّ إنسان متحضّر، هي على أهبة الظهور . ورسائل المواساة والأخوّة والصفح الذي أورثتها التوجهات الروحانية الكبرى والأديان والفلسفات الإنْسِية لا تلامس سوى درع البربرية الداخلية.

إنّ التطلّع إلى هذا الفنّ الجديد للعيش هو بصدد الظهور في المجتمع بموجب الشرور الناتجة بالذات عن أنماط حياتنا الراهنة. إنه انطلاقا من هذا الانتظار يمكننا رسم ما يمكن أن يكون إصلاحا للحياة.

ج.ف. دورتيي : أيّ مبادئ يرتكز عليها هذا «الفنّ للعيش» الجديد ؟

إ.موران :

إنّ فكرة فن للعيش قديمة . فقد انشغل بهذا البحث فلاسفة الهند والصين والعصر الإغريقي القديم. وهي فكرة تقدّم نفسها اليوم بصورة جديدة في حضاراتنا المتميّزة بالتصنيع والعمران والتطوّر والتفوق الكمّي. إنّ التطلّع راهنا إلى فنّ للعيش هو أولا ردّ فعل للخلاص من شرورنا الحضارية من مَكْنَنَة حياتنا، والتخصّص المفرط والإيقاع الزمني. يُحدث تعميم الشعور بالضيق، بما في ذلك داخل الرفاه المادّي ، كردّ فعل، حاجةً إلى السلام الداخلي، واكتمال الرضا أي التطلّع إلى « الحياة الحقيقيّة».

يقوم « العيش الكريم « على بعض المبادئ : أولوية الكيفية على الكميّة، والكائن على الملكية، ويجب أن تكون الحاجة إلى الاستقلالية والحاجة إلى الجماعة مجتمعة ، وعلى شعرية الحياة وفي النهاية الحبّ الذي هو قيمتنا ولكنه أيضا حقيقتنا الأسمى. يقودنا هذا الإصلاح للحياة أيضا إلى التعبير عن إمكانات الفعل الكامنة في كلّ كائن بشريّ.

ج.ف. د: كيف يمكن تطبيق ذلك عمليا؟

إ.موران:

تتمثّل المهمة الأولى في التحرّر من الاستبداد . يقوم إيقاع حياتنا اليوم على سباق مستمرّ . السرعة والعجلة والتقليب الذهني تجعلنا نعيس على إيقاع جامح. يجب أن نجعل من أنفسنا أسيادا على الزمن، هذا الخير الأثمن من المال كما قال سينيكا بعدٌ. وبمثل ما توجد حركة الغذاء البطيئة SLOW FOOD ، فلابد من تطوير الزمن البطيء والسفر البطيء والعمل البطيء أو المدينة البطيئة. فالمهم أكثر هو أن نعيش حياتنا لا أن نجري وراءها. تتطلّب إعادة تملّك الزمن، في الآن نفسه، تنظيما جديا للعمل، والنقل وإيقاع للحياة المدرسية وإيقاع للحياة. يفترض هذا أيضا إعادة اكتشاف معنى :تعلّم العيش»الآن وهنا»، مثلما توصي به الحكمة القديمة.

يستدعي إصلاح الحياة بطئا معمّما ، مدحا للبطء . التوقف عن الجري طريقة في إعادة اكتشاف زمننا الداخلي.

يجب الاستعاضة عن المراوحة الضارة اكتئاب / إثارة التي تميّز حياتنا الراهنة بزوج يجمع بين السكينة والحدّة.

ج. ف. د: بمعنى ؟

إ.موران:

إنّ وجودا ممتلئا إنسانية لا يمكن أن يرتكز على انسجام عفوي بين ميولنا المتناقضة . فالحياة الناجحة تتطلّب حوارا مستمرّا بين متطلبات العقل والأهواء : لا يمكننا أن ننظم حياتنا لا على الحساب والمعقولية الباردة ولا على الأهواء وحدها التي، ومن دون مراقبة ذاتية، تقود إلى الجنون. يجب تعلّم أنسنة دوافعنا وانفعالاتنا بمراقبة فكرية: يعني هذا أنه يجب تطوير قدرتنا على كضم الغيظ والضغينة والشعور والغضب الخ. لا يعني هذا التحكّم في الذات في شيء، كبت دوافعنا. فالنوع الإنساني هو في الآن نفسه إنسان عاقل وإنسان مجنون: والمشكل هو في التمفصل بين هذين البعدين الأساسيين لوجودنا. يمكن أن يحدث هذا دون معرفة بالذات، متخلفة في حضارتنا. لقد فضّل الغرب المعرفة والتحكّم في الطبيعة بدل المعرفة والتحكّم في الذات.

فلكي نعرف ذواتنا، يجب تنمية النزعة التأمليّة والنقد الذاتي وفحص الذات. هو تمرين صعب إذ يتعلّق الأمر بأن نطرد من الذات الأفكار الجاهزة والعادات الذهنية وأن نخضع اعتقاداتنا الخاصّة ويقيننا للنقد وهو ما ليس سهلا مادمنا ميالين إلى نقد الآخرين والتقليل من شأن الخصم. يفترض النقد الذاتي جانبا من السخرية من الذات وعدم التمركز عليها. يفترض إصلاح حياتنا أيضا تطهيرنا من كلّ إدمان على الاستهلاك . وهذا لا يعني وجوب التخلّي عن لذّات الاستهلاك من أجل العيش في الزهد والتوفير والتقليص المستمر، والصرامة والحرمان. إنّ حسن الاستهلاك، هو على العكس تعلّم إعادة اكتشاف طعم الأشياء. إنّ حياة غنية ومشبعة بمراوحات بين فترات تقشّف وفترات احتفال. يجب أن تعقب فترات المراقبة للذّات لحظات ضرورية للإفراط ، والاحتفال ، ما يسميّه جورج باتاي « الاستغراق في الاستهلاك» . يجب على المجتمع اليوم أن يُشفى من « حمّى الشراء»، من الاستهلاك المفرط. وهذا لا ينفي شراءات الرغبة والبهجة.

ج.ف. د: ليس إصلاح الحياة إذن تمرينَ بساطة إرادي فحسب.إنه دعوة أيضا إلى إعادة اكتشاف وجوه الفتنة في وجودنا ؟

إ.موران:

نعم، ولكن مع الوعي باستحالة العيش باستمرار في الغبطة. يفترض وضعنا الإنساني المراوحة بين « حالات نثرية» و« حالات شعرية» ، وهما قطبي حياتنا. توافق الحالة «النثرية» النشاطات والإكراهات الضرورية التي تفرض علينا. أما الحالة « النثرية » فتوافق لحظات الإبداع والاحتفال والحوار والمشاركة والحبّ.يلحق الاثنان بعضهما بعضا ويتداخلان في الحياة اليومية: فمن دون نثر لا وجود لشعر. ومن العبث أن نأمل في حياة مبهجة حيث تكون الحالة الشعرية دائمة. إنّ مثل هذه الحياة تنتهي إلى الاضمحلال بذاتها. نحن مدعوون إلى التكامل والتراوح شعر/نثر.

ج. ف. د: يدعو الكثير اليوم ، في مواجهة خراب الفردانية والإفراط في الاستقلالية ، إلى الرجوع إلى التضامن والتعاطف والإيثار. فما هو رأيك في ذلك؟

إ.موران:

يجب على إصلاح الحياة أن يتضمن بالتزامن تطلّعين اثنين هما الأكثر عمقا ، تطلعين متكاملين إنسانيا: التطلع إلى الإثبات، « للأنا» في حرية ومسؤولية ، والتطلع إلى الاندماج ، لـ»النحن» الذي يقيم « الصلة» بالغير في علاقة تعاطف وصداقة وحبّ. يحثّنا إصلاح الحياة على الانخراط في مجموعات دون أن نفقد استقلاليتنا. وتتعلق إحدى أولويات إصلاح الحياة بتعلّم أشكال قابلية اجتماع جديدة .

إنّ ما نسمّيه سياسة صحية والاهتمام بالغير يدخل ضمن ورشات كبرى لإصلاح الحياة. فالرعاية والتضامن يجب أن يتحققا في « دون التضامن» ، متضمّنة مساعدات عاجلة على كلّ أزمة وخدمة مدنية للتضامن من أجل الشباب.وهذا ما يبيّن أن إصلاحات الحياة تقوم لا على وعي ذاتي فحسب ، بل على مجموع من الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. إنّ التعاطف والرعاية واللطف والإيثار والانشغال بالآخر توجد لدى كلّ إنسان كاستعداد أساسيّ: نراه خاصّة عند الكوارث الكبرى حيث ينشط تلقائيا المدّ التضامني ، حتى بالنسبة إلى شعوب بعيدة. إنّ هذا الاستعداد يتطلّب أن يهذّب ويثار ويشجّع عليه ويفعّل.

ج. ف. د: لكن ، بالتحديد، كيف نتوصّل إلى مثل هذا الإصلاح للحياة؟ أي إصلاح مؤسّساتي يوافقه؟

إ.موران:

يقتضي إصلاح الحياة في الآن نفسه تعلّما وإصلاحا شخصيا. وهو يدعو بالتزامن إلى إصلاح التربية وكذلك إلى إصلاحات كبرى اقتصادية واجتماعية ، وإلى وعي استهلاكي جديد ، إلى إعادة انسنة المدن ، وإلى إعادة إحياء الأرياف. أعدّد في كتابي كلّ حقول الإصلاح الضرورية. ولا يمكن للالتزام بمسلك جديد أن يحدث فحسب على صعيد شخصيّ ولا على صعيد جماعي. يتطلّب هذا تعدّد الإصلاحات التي ، تتطوّر وتصبح متاضمنة فيما بينها. لقد ذكرت اندريه جيد الذي يتساءل لمعرفة هل يجب أن نبدأ بتغيير المجتمع أو بتغيير شخصي. يجب أن نبدأ في الآن نفسه من الجهتين. يقول غاندي :» يجب أن نحمل فينا العالم الذي نريد». غير أن هذا لا يكفي مثلما لا يكفي إلغاء نظام الاستغلال، الذي سرعان ما يستبدل بنظام استغلالي آخر كما بين ذلك المثال الاتحاد السوفييتي الذي فشل في النهاية. لست مثاليا ساذجا؛ فالمثاليون السذّج يعتقدون أن نمط إصلاح واحد يمكن أن يحسّن الحياة الإنسانية والمجتمع. وذلك لأنّي أرى أنّ كلّ شيء متّصل- وهذا هو الفكر المركّب- واستخلص منه بأنّ الطريق الوحيدة هي طريق تكافل الإصلاحات.

يظلّ هذا بالتأكيد لايقينيّا. ينكشف في كل مكان من العالم حشدا من المبادرات الخلاقة التي تظهر لنا إرادة العيش المشترك تجهلها اليبيروقراطيات والأحزاب. لا شيء يصل هذه المبادرات ببعضها بعضا؛ وفي معنى ما ، نحن بالكاد في بداية البداية. إنّ كل تحوّل كبير، في التاريخ ،- دينيّ وإيتيقي وسياسيّ وعلميّ - قد بدأ بطريقة مجانبة بالنسبة إلى المسار الرئيسيّ ، وبطريقة متواضعة بالنسبة إلى وضعية الأشياء. يسمح لنا هذا بالأمل الذي ليس بيقين. إنّ إصلاح الحياة هو في الآن نفسه مغامرة داخلية ومشروع حياة ومشروع جماعيّ. «

مقتطف من محادثة مع إ. موران نشرت بمجلة « العلوم الإنسانية « عدد خاص 13 ماي ، جوان 2011.

وللقارئ حقوقٌ أيضًا...

صلاح بن عياد

في بلاد تزدهر فيها القراءة أو المطالعة لتصبح من قبيل العادة المشابهة لأيّ عادة يوميّة أخرى فكّر النّاس في تلك البلاد في حقوق للقارئ كما نفكّر في بلادنا في حقوق للتّأليف والنّشر وكما نجد ما إن نقلّب الصّفحة الأولى لأيّ كتاب، ونقصد تلك العبارة المشيرة «للحقوق المحفوظة» حفظا قد لا يتجاوز حدود العبارة.

في البلاد تلك، المتقدّمة، كما أعتقد والسّحريّة، كما أتخيّل فُكّر بالقارئ لأنّه موجود وجود المؤلّف والنّاشر. ففي لائحة شهيرة قد نجدها معلّقة في المكتبات العموميّة في المكتبات الفرنكفونيّة تعرف بـ«لائحة دانيال بنّاك Daniel Pennak» الرّوائيّ الفرنسيّ المولود بالمغرب سنة 1944، وقد وردت هذه اللاّئحة في كتابه الذي يحمل عنوان «مثل رواية ما» comme un roman وهو كتاب يعالج قضيّة القراءة فلم يخل من دفق بيداغوجيّ قائم على قاعدة بسيطة مفادها أنّنا «لا نجبر حبّ الإطلاع لدى القارئ وإنّما نثيره لديه».

حقوق القارئ التي لخّصها في عشرة بنود مقابل واجب واحد هو «لا تسخر من الّذي يرفض القراءة إذا أردته أن يقرأ يوما». هذه الحقوق هي: (من حقّ القارئ ألاّ يقرأ، من حقّه أن يخلّف صفحات من الكتاب، من حقّه أن لا يُتمّ القراءة، من حقّه أن يُعيد القراءة، من حقّه أن يقرأ أيّ شيء ولو كان تافها، من حقّه في «البوفاريزم» bovarysme الّتي تعني فيما تعنيه لبس دور البطل أو الوقوع في حبّه أو الخلط بين الواقع وجوّ الكتاب...، من حقّه أن يقرأ حيثما أراد، من حقّه أن يقرأ بصوت عال، من حقّه أن يقرأ تلك الأوراق المتناثرة هنا وهناك حتّى وإن كانت في سلّة المهملات، من حقه أن نلزم ـــ نحن ـــ الصّمت التّامّ).

تبدو المطالعة فنّا من الفنون أو ندّا للكتابة في تلك البلاد. لذلك كانت منهلا في جانبها المرئيّ والمشهديّ نهل منه عديد الرسّامين فنجد لوحات عديدة تحمل عنوان "القارئ" أو "القارئة" منها لوحة دافيد لاينغ David Laing العائدة إلى سنة 1862، ولوحة «القارئ» لكانيلا Canella ولوحات شهيرة لرمبرانت Rembrandt وفراغونار Fragonard ولوحة «قارئة الرّوايات» لصاحبها أنطوان ويرتز Antoine Wiertz العائدة إلى سنة 1853 الّتي هي عبارة عن امرأة عارية ممدّدة على سريرها مبتسمة بينما ترشق عينيها في كتاب يعلوها وتحيطها كتب أخرى مبعثرة وهي لوحات قد نورد لها مادّة كاملة لكثرتها وتنوّعها ولملامستها عدة جوانب من القراءة أو المطالعة. ولعلّ الرّوائيّ الفرنسيّ الشّهير جوستاف فولبير من أولئك الذين خصصوا روايته الشهيرة «مادام بوفاري» للمطالعة. البطلة في هذه الرّواية تعاني من مرض القراءة فتكوّن بينها وبين الواقع بون لم تستطع احتماله طويلا والذي قال عنها فلوبير في ذاك الوقت (القرن التّاسع عشر) في رسالة وجهها لإحدى صديقاته «مادام بوفاري تعاني الآن في عشرين منزل على مدى عشرين قرية محيطة بباريس».

وللقراءة في تلك البلاد طرق مختلفة فهي قراءة بصوت عال، الطّريقة الضاربة في القدم والأكثر عراقة وانتشارا امتدّت منذ ظهورها المزامن لظهور الكتابة إلى حدود القرن العاشر ميلاديّة. فما كان يُقرأ على الملأ وفي المحافل أو على رؤوس الأشهاد إنما هو تلك النّصوص الجمعيّة ذات المنحى الدّينيّ، علاوة على الرّسائل الّتي تقرأ في حضرة الحاكم وحاشيّته أو الشّعر العربيّ في البلاط -ربّما- فالحكايات الّتي يقرؤها الرّاوية على الملأ. وهي قراءة خاصّة بالأثرياء دون الفقراء. أمّا القراءة الصّامتة فقد ظهرت في اليونان القديمة التي هي قراءة كما لا يخفى أكثر عمقا وفهما للمعلومة المدوّنة ممّا يفسّر إن صحّ استنتاجنا ظهور الفلسفة والفكر في المجتمع الإغريقي القديم.

من القراءة السّريعة إلى أخرى أقلّ بطء، ومن قراءة متأمّلة إلى أخرى أقلّ تأمّلا، ومن قراءة منفعيّة أكاديميّة إلى أخرى من أجل تلذّذ القراءة يتبلور القارئ في تلك البلاد ويُتحدّث عن حقوقه ويُقرأله حساب. إلى قراءة بعيدا عن الكتاب في معناه الورقيّ إلى كتاب أشمل يرمز للكون وللحياة فنجد عبارات من نوع «الكون كتاب كبير أو مفتوح»، على حدّ تعبير ابن عربيّ إلى «كتاب الحياة»، «الطبيعة كتاب مفتوح»، إلى الشّجرة التي قد تكون صنوا للكتاب بأوراقها، فكتاب الموتى» الذي هو عبارة عن ديوان فرعونيّ خياليّ مغلق يحتوي على صيغ لأعمال الكائن يقرؤه يوم الحساب. في تراوح الكتاب تتراوح القراءة من انكباب على المعلومة المكتوبة أو الملموسة لدى فاقدي النّظر إلى تأمّل تلك المعلومة في الكتاب الواسع الرمزيّ. ولقد وضع لتلك الكتب وأولئك القرّاء مملكة في تلك البلاد المشار إليها، لنتحدّث عن «مملكة الكتاب». ففي رواية لصاحبنا الوارد في أوّل مادتنا «دانيال بالاك» المغربيّ النشأة عنوانها «بائعة النثر الصغيرة» المنشورة عن دار غاليمار الشهيرة سنة 1990 يروي قصّة الملكة «زابو» Zabo الّتي تدير شؤون مملكة الكتب تلك، مملكة صغيرة تحت سيطرتها بالكامل ما عدا كاتب يدعى «بنيامين» الّذي رغم تحصّله على جائزة ذهبيّة إلا أنّه لا يتوانى على التّواصل مع كتّاب رديئين إلى آخر القصّة ليخلص بالحقوق العشرة للقارئ. الكتاب قائم هو أيضا على القراءة والمطالعة بما أنه يقوم على الكتاب نوردها كي ندلّل على حضور هذه الممارسة في تلك البلاد حتّى في العصور الحديثة لتمثّل منجما روائيّا وفنّيا إن صحّ التعبير.

قد نتألم في بلادنا في غياب تلك الحقوق، حقوق القارئ ونتألم أكثر كلّ مرّة تنزل علينا تلك الأرقام المشيرة إلى معدّلات القراءة في بلادنا نزول الصّاعقة أو خاصّة في مقارنات من نوع أنّ ما يقارب الأربعين قارئا من بلادنا يساوي قارئا واحد في بلادهم. فنتساءل هل القراءة فعل غريب عنّا؟ لنجاب بأجوبة من نوع أننا أمّة شفويّة لم تتعوّد على معاشرة الكتاب حدود حقب متقدّمة في التاريخ البشريّ. لكن وبالعودة إلى تراثنا العربيّ نجد ما يخالف ذلك، ألم يكن الجاحظ قارئا يستأجر محلات الخطّاطين ليبيت ليلته مقلبا للدّفاتر حتّى أنه لمّا عاد للمنزل جائعا وطلب طعاما من أمّه ناولته كتبا في طبق على سبيل الطرفة. والجاحظ خصّص فقرات طوالا في كتابه الحيوان للقراءة وللكتاب ولحقوق القارئ ويا للعجب العجاب...

ها هو يقول:» وليعلم (القارئ) أنّ صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدّب عند ضربه وعقابه، فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط فيضرب مائة(...) وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة، والحفظ مع الإقلال أمكن وهو مع الإكثار أبعد». هذا وقد أورد الجاحظ، القارئ النّهم كلاما عن الكتاب في «الرسائل» ليلتقي مع «دانيال بالاك» في قوله:» الكتاب يُقرأ في كلّ مكان وكلّ زمان على تفاوت العصور وبعد بين الأمصار».

في كتاب «العقد الفريد» يتمّ التّمييز أيضا بين القراءة ليلا أو نهارا في قول ابن عبد ربّه:» وإن أحببت ألاّ يُقرأ الكتاب بالنّهار ويُقرأ بالليل، فاكتبه بمرارة السّلحفاة»، هذا القول موجّه إلى كاتب قد يوصيه المتكلّم هنا بالكتابة العميقة البطيئة ليتمتّع القارئ بقراءة متأنّية ومتأمّلة الّتي يرمز إليها اللّيل في هذا القول. لقد كان القارئ العربيّ موجودا وجود القارئ الغربيّ الآن، ولقد تفنّنت العرب في القراءة وفي تبجيل الكتاب إلى حدود قول أحدهم هذا البيت الوارد في يتيمة الدهر للثّعالبي:

صون كتابي عن يدٍ لا تصونه صيانة نفسي عن أخٍ لا يصونها

قراءة كتاب عند العرب كانت بمثابة فعل عنيف يدلّ على ذاك الشّوق والتلذّذ فيقال « فضضت الكتاب وقلّبته أو أتيت على آخره».

قد تبدو صورة القارئ الآن (في بلادنا) صورة غريبة لا توحي بشيء ما يفسّر أزمة النّاشر وأزمة الكاتب رغم حقوقه المحفوظة، ذلك لأنّ أمّة «اقرأ» لم تعد تقرأ وإن قرأت «فستقرأ عليك السلام» في مرورها قراءة رتيبة بلا معنى.

الأسطورة.. فضاءاتها وعوامل بعثها

الناصر التومي - كاتب

ما يعنينا في هذا المبحث القصص الأسطوري باعتباره معلومة من آدم في مرحلة أولى، وبداية من نوح إلى ما بعد عبر فترات أولى بدائية متواصلة لدى أقوام مثل قبائل سكان القارة الأمريكية، وجنوب الصحراء الإفريقية، وقارة أستراليا، وأخرى شهدت حضارات مثل بلاد ما بين النهرين ومصر والصين والهند وبلاد الإغريق والرومان، لكن في كلتا الحالتين كانت المعلومة تنتقل من جيل إلى جيل، فبعضها تصطبغ بالصمود لأزمان طويلة، وبعضها يطرأ عليه التحوير لتدخل في نسيج الثقافة المحلية ولتصبح من مقومات عباداتها وتقاليدها.

ولعل أول الأماكن التي احتضنت الإنسان هي شبه الجزيرة العربية، وبلاد ما بين النهرين، وفارس والشام، مستقر آدم بعد قدومه من جبل «يوذ « بالهند حيث أنزل، ولعل هذه الأماكن وما حولها كانت هي التي احتضنت أهم التجمعات البشرية و الحضارات، وكانت مهبط الأنبياء.

وبتفرق نسل نوح والذين حملهم معه في السفنية من المؤمنين الذين يقدرون بسبعين نفرا بين رجال ونساء، حدثت تجمعات عديدة، فقبائل فممالك هيمنت كل على رقعة من الأرض، فكان في بلد ما بين النهرين أو بلاد الرافدين قبل 4000 سنة ق م ، ومن أهم حضاراتها السومرية، البابلية ،الآشورية، وبلاد الشام التي تعرف بسوريا القديمة، ومن أهم حضاراتها الآرامية والكنعانية، والأشورية والأكادية.

وبحكم ازدياد النسل انتشروا في الأصقاع، في جنوب ووسط آسيا الهند وسيرلنكا والتيبت، وشرق أسيا منغوليا والصين واليابان، وفي أوروبا حيث استوطنوا فكانت بلاد اليونان والرومان، وإفريقيا، وهذا الانتقال كان سهلا بحكم التصاق القارات ببعضها برا وبحرا، أما هجرة سكان الأمريكيتين الجنوبية والشمالية فيرجح المؤرخون أنها حدثت في آخر مراحل العصر الجليدي وقد دخل الأوائل منهم عن طريق سيبيريا عبر جسر أرضي على الأقدام قبل 10 آلاف سنة أي قبل البعثة الابراهيمية وتم اكتشاهم في القرن الخامس عشر ميلاديا، لكن الهجرات إلى الأقيانوس حيث بولينيزيا، وماليزيا، وماكرونيزيا، وأستراليا، فقد حدثت بعد البعثة الابراهيمية أي قبل 2000 سنة وانقطعت بعدها الاتصالات بين باقي العالم إلى حين اكتشافها من قبل الأنجليز أثناء هيمنتهم على العالم خلال القرن السابع عشر وضمت أستراليا إلى ممتلكاتها.

وفي شبه الجزيرة العربية قبائل متفرقة لا يجمعها كيان تقريبا في البداية لكن بظهور الامبراطورية الفارسية واليونانية الرومانية فالبيزنطية فقد أصبحت مُقسّمة بين حكم الممالك المجاورة، ؛ فكان فيها ملكٌ في اليمن، وملك في الحيرة، وملك في الشام، وإمارةٌ في الحجاز، وكان حكم العرب منقسماً حسب توزيع القبائل في شبه جزيرة العرب، إن الذين كانوا قريبين من منطقة الحيرة يتبعون لملك العرب بالحيرة، والذين كانوا قريبين من بلاد الشام فقد كانوا يتبعون الغساسنة، وأمّا من توزّع في البوادي داخل شبه الجزيرة فقد كان حُكمُه حراً على أكثر من قبيلة،.

وفي هذه الحاضنة كان الأنبياء ينزلون بشريعة الله، فتتقبل من بعضهم وترفض من بعضهم الآخر، وقد تنزل عقوبة جماعية كطوفان نوح، وتنزل عقوبات على أقوام دون أخرى، وإن تضعف العقيدة لديهم فقد تبقى أحداثها وقصصها في الأذهان تستغل من تلك الأقوام في رواية القصص، أو في نسيج عبادات جديدة من خلقهم.

بالاطلاع على قاموس أساطير العالم لأكثر من مرة، ومحاولة تلمس انتقال الأسطورة بين الشعوب، لحياكة نسيج أسطوري جديد، إما لاعتباره نسخة مكتملة أو الاقتصار على جزء منها لا غير، تبين لي أن جل أساطير العالم تضمنت اعتقادات مشتركة في الغالب مع مناخات مختلفة شيئا ما، وخاصة شعوب بلاد ما بين النهرين ومصر، والفرس، والهند والصين وبلاد اليونان، وشعوب القارة الإفريقية بحكم التواصل المستمر بينها للعامل الجغرافي والهجرات، والتجارة والحروب والاحتكاك، وبدرجة أقل قبائل القارة الأمريكية ، ومنطقة الأقيانوس، لكن ثمة بين الجميع قاسم مشترك بين كل هذه الأساطير حتى مع قبائل القارة الأمريكية ومنطقة الأوقيانوس، ولعل كل هذه الشعوب تزودت بمعين واحد من الأساطير لما كانت لا تزال منحصرة في منطقة تنامي سلالة البشر الأولى في الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين وفارس والهند، ونوعية هذه الأساطير لها علاقة وطيدة بفجرالديانات السماوية بلا شك.

هذا وقد استطعت جمع نوعية الأساطير التي تجمع كل شعوب العالم حتى تلك التي انقطعت قبل آلاف السنين عن العالم، وأعني منطقة الأوقيانوس، وأمريكا.(عبادة الكواكب والنجوم وعناصر الطبيعة ـ عبادة السلف ـ خلق الإنسان من طين ـ آدم وحواء ـ الخيرو الشر ـ الفناء والخلود ـ البعث و الجنة والنار ـ ـ الطوفان ـ عالم الموتى ـ

وعند بحث الأمر يتبين أن الأسطورة اقتصرت على المعلومة السائدة ما قبل نزول الديانة الإبراهيمية ودليلنا على ذلك أن الشعوب المنعزلة لم تستطع استيعاب ما جد إثر الديانة السماوية والتي كانت مادة خصبة لبقية الشعوب المجاورة لمهبط الأنبياء والتي استمدت منها عديد العبادات، والأحداث والعادات والتقاليد لتكّون نسيج عبادتها أو أساطيرها الخاصة.

وهذا دليل قاطع على أن الأحداث التي انصهرت في أساطير شعوب مهبط الأنبياء وما حولها بحكم قربها من نبع الأحداث استطاعت استيعاب المعلومات التي جدت إثر نزول الديانة الإبراهيمية، واستغلالها ضمن اعتقاداتها وأساطيرها، بينما الشعوب التي رحلت إلى قارة أمريكا بحكم انقطاع المد المعلوماتي إليها بعد انعزالها عن العالم فقد افتقدت معين المعرفة وبالتالي جهلت ما أنتجته حضارات العالم.

في مقال إلكتروني قال الشيخ شفيق الجرادي في الأسطورة: إن الأسطورة خبر جميل في عرضه، يحدثنا عن واحد من أمور ثلاثة، إما نشأة الخليقة وأحوال الموجودين للخلق حين خلقوا- أو رموز تشير لمغاز في الحياة، أو الوجود، بما له من تأثير في شؤون الحياة، أو تنقلنا لصراعنا مع الفرح والحزن، والسعادة والشقاوة والصحة والسقم، والغنى والفقر، والأهم من كل ذلك مع الولادة ومراحل العمر، وصولا إلى مواجهة الموت، ومعنى الموت وما ينتظرنا بعد الموت.

إذ ليس المطلوب عبر الأسطورة أن يتم إعلامنا عن حادث أو أمر أو فكرة لمجرد الإعلام، بل هو خبر له وظيفة الإنشاء، بحيث لا يصح في حقه أن تصفه بالصدق أو الكذب كما هو المعروف والجائز في حق اي خبر.

وظيفة الأسطورة تعكس فينا قناعة أو سلوكا عبر إلهام العبر والرموز الهادية فيها، وظيفتها كالثقافة في صنع الأفق الحضاري، وكالوجد في إثارة إبداع الفن، فهي قد تتحول إلى نحن الحضارية أو إلى أنا الفرد المبادر والمبدع بهذا المعنى هي سردية الذات قبل وجودها، إنها شبيهة بالعلم الأزلي في إلاهيات الأديان، وبالعلة الغائية في الفلسفة، تبتكر الشخصيات والهويات وتنسبها إلى حاضنتها بخفر عجيب لا يكشف عنه التأويل، ومن المعلوم أن التأويل ولاد للتعدد، رغم ما يحمله من صيغة مرجعية محددة.

قال الفيلسوف الصقلي أحميروس سنة 316 قبل الميلاد ـ إن الأساطير القديمة تدل على أحداث تاريخية، إن الآلهة كانوا رجالا في البدء، وقد تميزوا بعد موتهم، إذ أضفيت عليهم الصفات الإلهية من الشعوب بوصفه امتنانا لما قدمه هؤلاء الأبطال ومن هؤلاء خمسة رجال صالحين من أجداد قوم نوح عاشوا زمنا ثم ماتوا وهم « ود « و» سواع»و» يغوث»و»يعوق»و» نسرا « يعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل في مجال الذكرى والتكريم ومضى الوقت ومات الذين نحتوا التماثيل ثم نسجت قصص وحكايات حولهم واستغل إبليس الفرصة وأوهم الناس أن هذه تماثيل آلهة تملك النفع وتقدر على الضرر وبدأ الناس يعبدون هذه التماثيل.

ولعل هذا يحيلنا إلى عديد الآلهة في الجزيرة العربية التي ذكرها القرآن خاصة أنها كانت لآباء وأجداد صالحين، جعلوا لهم تماثيل للذكرى في البداية، وتحول ذلك بعد مئات السنين إلى عبادتهم ووصل بهم إلى عبادة من عاقبهم الله مثل أساف ونائلة وقد وردت بالمصادر الإسلامية عن ابن القيم الجوزية والحافظ الذهبي صاحب سير الاعلام أن «إساف» و»نائلة» كانا صنمين ومكانهما على «الصفا» و»المروة» وقصتهما من المصادر الإسلامية أنهما كانا عاشقين ويرجح أنهما من قبيلة جرهم ، جاءا إلى الكعبة للحج ولكنهما أحدثا داخلها فمسخا إلى صنمين من حجر لارتكابهما الفاحشة والفجور ووضع أحدهما على «الصفا «وهو «إساف» ووضعت «نائلة» على «المروة «فكان أحدهما ملصقا بالكعبة والآخر في موضع زمزم، فنقلت قريش الذي كان ملصقا بالكعبة للآخر، وكانا من نحاس وأن خزاعة وقريش عبدتاهما ومن حج البيت بعد من العرب ينحرون ويذبحون عندهما، وقيل إن عبد المطلب جد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان ينوي نحر ابنه عبد الله عندهما.

أساطير

أنزل الله آدم أول البشر وكان نبيا، وتتالت الأنبياء للتذكير بألوهية الله وعبادته، لكن كانت هناك قرون وأحقاب بين نبي وآخر تسمح بالغفلة، وتسرب الضلالات إلى العبادة، وقد تترك العبادة الحقة وتغير بأخرى من اختلاق البشر وقد قال في ذلك القرآن الكريم:

ـ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(الحديد 16).

ربط المفسرون هذه الآية بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، لكنها في نظري تتعلق بكل الشعوب والأقوام ممن طال عليهم الأمد بعد إرسال نبي وتذكيرهم بعبادة الله الواحد وشريعته حتى أخذتهم الغفلة والنسيان والتراخي فغلبتهم الشهوات واكتسحتهم الشبهات فلم يعودوا يميزون بين الصحيح والخطأ، وبين الفضيلة والرذيلة، فتاهوا، وتشبثوا بعبادة غير الله تقربا منهم إلى الله في البداية وشركا، ثم نسوا الله وخلصت عبادتهم لغيره فقست من بعد ذلك قلوبهم فلم يعودوا يستطيعون قبول عبادة الواحد لو وقع تذكيرهم به فيقولون ـ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ.(الزخرف 22) وقد يقتلون ولا يعودون إلى عبادة الله الحق وقد يستغربون ويرون في عبادة التوحيد الشيء العجاب فيقولون «أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (ص 5).

وقد صدمنا عند مطالعتنا لكتاب ـ ميثيولوجيا الهة العرب قبل الإسلام ـ للساسي محمد الضيفاوي ـ في الفصل الثاني بعنوان البحث في هوية الإله عند العرب قبل الإسلام فيما ذهب إليه بصفحة 90 في قوله (إن الله كتعبير هو نتاج بشري بحت، هو نتاج الذهن البشري وملتصق به دون غيره، الله كتعبير لا وجود له إلا في العقل البشري وفي اللغة البشرية وبفضليهما).

يريد الساسي الضيفاوي أن يقنعنا أن لفظة ـ الله ـ من خلق البشر والنصوص التي جاءت به في العهد القديم والعهد الجديد والقرآن من تأليف البشر مع أن كل الدلائل في كل الكتب المقدسة أن الأساطير اقتبسها البشر وحتى تلك الأساطير التي قد تكون تشكلت قبل نزول التوراة وكان اسم الآلهة ـ كإيل « ا ل ه» و» ا ل هة»و» ال هم «و» ال هي»و» ال ه ي ا « التي وجدت في حفريات قديمة باللغة الآرامية، فإيل عند الكنعانيين، و» ألوهو» عند السريانيين، و «الاها « عند الكلدانيين، فإنما هي اقتباسات محرفة من الشرائع التي نزلت قبل ابراهيم مع آدم و إدريس، ونوح وغيرهم لأن الله واحد وأسماؤه قديمة مثله كانت موجودة في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله الأرض والسماء بخمسين ألف سنة.

ـ العهد القديم: ذكرت لفظة الجلالة الله 1235 مرة.

ـ (ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة)(سفر التكوين الإصحاح الأول).

ـ (لصقوا بإخوتهم وعظمائهم ودخلوا في قسم وحلف أن يسيروا في شريعة الله التي أعطيت عن يد موسى عبد الله، وأن يحفظوا ويعملوا جميع وصايا الرب سيدنا وأحكامه وفرائضه(سفر نحميا).

ـ العهد الجديد: ـ ذكرت لفظة الجلالة الله 1011 مرة.

ـ ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا ابراهيم أبا، لأني أقول لكم إن الله قدير أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم ـ (أنجيل متى).

ـ لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول كان لنا إليكم، وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان، لتعبدوا الله الحي الحقيقي(رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي).

ذكرت كلمة الله في القرآن 2699 مرة:

ـ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (المائدة76).

ـ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(الأنفال61).

فهل الله عاجز أن يسمي نفسه إلا من خلال ما توصل إليه البشر من تسمية لبعض الآلهة ليقتبسها جل وعلا منهم.

والضيفاوي يذكر في فصل الآلهة والمحمولات الرمزية صفحة 147 إذ يقول:

ـ ويذهب الأزرقي إلى أن التوحيدية تعود إلى ما قبل آدم فقد علمته الملائكة البعد التوحيدي، فحفظه على ظهر قلب ورده كما لقنته إياه الملائكة مثلما رددته قبله بألفي عام، فقد حج آدم عليه السلام فاستقبلته الملائكة الرّدم فقالت برّ حجك يا آدم، قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال: فما كنتم تقولون حوله قالوا: كنا نقول: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال فكان آدم عليه السلام إذا طاف بالبيت يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم عليه السلام سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار).

من هذا القول نفهم أن مصطلح اسم الجلالة الله تردده الملائكة قبل آدم بألفي عام، ورده آدم وبنوه وسائر الأنبياء، فالديانة ديانة واحدة وأسماء الله وصفاته لا تتغير، لكن الشعوب هي التي حرفت أسماءه إلى ما صارت عليه لكن الجذع بقي لينبئ ذوي الألباب أن تلك الأسماء مشتقة من اسم الله وليس العكس.

هذا ولو واصلنا مناقشة الضيفاوي في عديد المخالفات لخرجنا على موضوع تأليفنا هذا، فبوصفي مسلما لا يسعني إلا تصديق القرآن لا غيره، ويكفي أن نورد استشهادا للضيفاوي بقولة لمرسيا إلياد ـ صفحة 141 لنعرف معتقده: إن الإنسان يصنع ذاته بذاته، ولا يستطيع أن يصنعها تماما إلا بقدر سلخ القداسة عن ذاته وعن العالم، فالمقدس هو العقبة الأولى التي تعترض حريته.

الكهنة كان لهم الدور الكبير في غرس الضلالات والأكاذيب في البشر، لأن من مصلحتهم ذلك لغايات دنيوية منفعية بحتة، فالكهنة هم الذين خلقوا أساطير العالم، فجعلوا « زيوس « إلاها، وجعلوا « أمون « إلها و « عشتروت « و»إيل» وغيرهم لا يعد ولا يحصى، فهل كان هؤلاء الآلهة حقيقة يريدون مزاحمة الله في ملكه، فكل العبادات والشعائر التي ما أنزل الله بها من سلطان هي من اختلاق الكهنة، وعاش الكهنة على هذا النصب والتزوير آلاف القرون للاسترزاق من جهل وغباوة البشر لا غير.

جاء في موسوعة قصة الحضارة ل « ول ديورانت»: كان هؤلاء الكهنة يتقاضون أجورا عالية على مساعدة المتعبد في أداء طقوس القربان التي أخذت تزداد مع مر الزمان تعقيدا، فإذا لم يكن في وسع المتعبد أن يدفع أجره رفض أن يتلو له الصيغ اللازمة، فأجره لا بد أن يسبق ما يدفع لله من أجر، ولقد وضع رجال الدين قواعد تضبط مقدار ما يدفعه صاحب هذه العبادة، كم من الأبقار والجياد وكم من الذهب، وكان الذهب بصفة خاصة عميق التأثير في الكهنة الآلهة.

ويقول ألكسندر هيدل في كتابه سفر التكوين البابلي:

ـ « وبعد الهدف من التغني بمدائح « مردوك» تأتي رغبة الكهنة البابليين الذين كانوا مسؤولين عن تأليف هذه الملحمة في التغني بمدائح بابل مدينة « مردوك « في تعزيز دعواها بالسيادة على بقية مدن الأرض جميعا، ويسوغ دعوى بابل في السيادة على بقية المدن أن إله بابل هو الذي دحر « تئامت « وخلق العالم ونظمه».

فقد جاء في الآثار الإسلامية أن الكاهنة طريفة والكاهن الخزاعي عمر بن لحي يتمتعان بصفات خارقة، فالأخير يستعين برئي من الجن يأتيه بأخبار الغيب، هذا إضافة للبلاغة واستغلال الجيد للسّجع، والذكاء والفطنة وحذقه لعلوم عصره وتاريخ الأمم، ومعرفة ما يطلبه الناس منه.

يقول رشاد سلام في كتابه كهنة في كل العصور(1): الكاهن إما أن يكون على علم بأنه يكذب، فيصنف نفسيا بأنه انسان « سيكوباتي « مريض بمعاداة الناس وحب السيطرة عليهم، وإما أن يكون قد صدق نفسه مؤمنا بضلالاته، فيطلق عليه الطب النفسي « الفصامي» ـ

والكاهن «السيكوباتي» الذي لا يعرف أنه يذنب مثله مثل أي مريض بالسيكوباتية فهو حاد الذكاء واسع الحيلة يتقصى في الناس نقاط ضعفهم فينفذ منها إلى أعماقهم، وهو عدواني يغلف عدوانيته بمظهر خادع من الطيبة وصفاء السريرة، ويسعى إلى الهدف الذي يريده بهدوء وحذر وخطى متزنة محسوبة فإن اقتنص فلا فكاك للفريسة من قبضته، مثله مثل الأفعى تتسلل في هدوء ناعم لتنقض فإذا ما انقضّت كانت النهاية.

ويضيف الكاتب رشاد سلام وهو يشرح طبيعة الكاهن:

ـ أفهل كان المصريون القدماء على حق في عبادتهم التي استمرت لما يزيد عن ثلاثة ألاف سنة ل»آمون» و»رع» و»حورس» و»إيزيس» وغيرهم من عشرات الآلهة التي تعج بها كتب التاريخ؟

وهل كان البابليون على حق وهم يتعبدون ل»عشتار» و»مردوخ» وقد استمرت عبادتهم تلك لما يتجاوز ألفين من السنين؟.

وهل كان الهنود على حق وهم يعتنقون ديانة « الفيدا» ويذبحون البشر قرابين لآلهتها على مر السنين؟.

وهل كان المكسيكيون القدامى على حق وهم على عهد «المايا» يدينون بآلهة الآبار والبحيرات والبراكين فيذبحون لها البشر وينتزعون من أجسادها القلوب التي يشتهي لحمها الإله، فترفع على سارية بأعلى الهرم ومازالت تلك القلوب تنبض بل وتقطر منها الدماء ليتسلل الإله الوهمي إليها ليلا فيأكلها. حدثني عن كاهن واحد من كهنة هؤلاء الأقوام كان صادقا فيما ادعاه لقومه ؟...

ويضيف رشاد سلام: ـ وكهنة الدين في مصر القديمة كانوا يمارسون السحر، فغرفة « السر الأعظم» المسماة بقدس الأقداس بالمعبد الرئيسي للإله هي المكان الذي يهبط إليه الإله ليسمع التعاويذ ويعطي النصائح، وهي غرفة لا يدخلها سوى الكاهن الأكبر فهو وحده الذي يناجي الإله بداخل الغرفة، وهو وحده الذي يتلقى منه النصائح ويعرف رأيه في القرابين التي تقدم، فكان الكاهن يدخل تلك الغرفة وسط الترانيم وعبث البخور فما أن يدخل حتى يغلق باب الغرفة عليه ويعم الصمت، وبينما الآذان مرهفة تدوي دمدمة تنفرج عن صوت تردد جدران الغرفة صداه معلنا أنه الإله، فترى الكل ساجدين وقد أخذتهم الرجفة من وقع الحدث.

ونحن نعرف الآن أن تلك العملية برمتها كانت خدعة كاهن، إذ كان الكاهن هو الذي يتحدث من وراء الباب بصوت دربه على الانتقال من طبقة إلى طبقة ومن مقام إلى مقام، فكأنما هناك من يحاوره ليوهم الجمع المتراص بالخارج أن الإله قد حل بالغرفة.

وفي عهد الرسول الأكرم خرج على الناس كثير من أدعياء النبوة كذبا وبهتانا واستطاعوا خداع قبائلهم وأنصارهم بصحة نبوتهم، أشهرهم مسيلمة الذي

---

1) رشاد سلام ـ كهنة في كل العصور ـ ص342.

أساطير

سماه الرسول الأكرم الكذاب يزعم النبوة بين قبائل بني حنيفة، وهذه سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان من ادعت النبوة في بني تغلب، وانحاز إليها هذيل وبني مالك وبني تميم، ويربوع. وقد لقى مسيلمة حتفه وهربت سجاح وأسلمت بعد حروب الردة.

جاء في الأثر أن الشيطان كان له الدور الكبير في الوسوسة للبشر لاتخاذ عبادة دون الله، والشرك به وذلك بطرق شتى لا تحصى ولا تعد، وقد جاء ذلك في قرآننا الكريم منذ بداية الخلق لما عصى إبليس ربه عندما طلب من الملائكة السجود فأطاعه كل الملائكة إلا إبليس وقد كان من الجن قال:وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)(الإسراء). ومن يومها وإبليس وجنوده يقومون بغواية الخلق حتى ينالهم ما سيناله من عذاب شديد في الآخرة، وكلما زاغ الخلق عن طاعة ربهم كان الشيطان له الدور الأكبر في ذلك وخاصة فيما يتعلق بالشرك وعبادة دون الله، ويظهر ذلك في الأساطير التي عبد الخلق فيها الأسلاف والأصنام، والأجداد، والصالحين، والكواكب والنجوم وعناصر الطبيعة و غير هذا الكثير.

وقد جاء في الآثار الإسلامية الكثير من الدلائل عن تدخل الشياطين في تضليل الناس، سواء ذلك بالوسوسة العادية التي جبلوا عليها من يوم خلق آدم، وهم قرناء للبشر من يوم ميلاده إلى يوم وفاته، أو التدخل مباشرة وبالتجلي في صور مختلفة أو إصدار أصوات لإقناع الناس بعبادة هذه الأصنام والإتيان بشبه خوارق مقنعة لهؤلاء البشرالذين قد يغلب عليهم الجهل وجاء في القرآن أيات عديدة منها:

ـ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (النمل 24).

ـ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(الأنعام الآية 43).

ـ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(الأنفال الآية 48).

ـوَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (العنكبوت الآية 38).

وجاء في حديث وهب بن المنبه عن طوفان نوح: ـ وأزبد الطوفان من كل جانب وملائكة الغضب تضرب المياه بأجنحتها، وأمر الله تعالى الملائكة أن يمسكوا أطراف الأرض كي لا تنقطع أصولها، وكانت الشياطين تدخل في أجواف الأصنام وتغوي القوم على ألسنتها، فلما عاينت الطوفان هربت، فضربتها الملائكة بأجنحتها فغرقت مع الأصنام.

الشيطان يوحي إلى الكهان « كما هو مشاهد من أحوالهم « فإنه يُغشي على الواحد منهم، ويذهب عقله، ويأخذ في الهذيان، ويتكلم في حال غشيته، والمتكلم هو الشيطان ينطق بلسان الكاهن، ويجيب عما يسأل عنه، وعندما يفيق الكاهن لا يدري عما سئل عنه وما أجاب به حال غشيته شيئا.

جاء لدى قدماء المصريين أن من مراكز الكهانة الشهيرة في العالم مركز « آمنون رع « في مصر، ويرجع تاريخ هذا المعبد الشركي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان الشيطان قد عشش في ذلك المركز وباض، وكان يظهر للناس في شكل طيف يمثل الإله يتحدث إلى الناس، ويسمع الأسئلة ويجيب عنها، ويقال إن الإسكندر الأكبر عندما زار معبد « آمنون رع « في صحراء مصر خرج إليه ذلك الطيف وخاطبه قائلا: « إني أعدك بأنك تملك البلاد جميعا وتخضع لك جميع الأديان «.

رفض اليهود المسيح المنتظر،وحاولوا أن يلصقوا به أبشع الصفات فقالوا عنه إنه سامري وبه شيطان، أي إن الشيطان متلبس به يسيره كيف يشاء كما نسبوا معجزاته من إقامة الموتى وقدرته على إخراج الشياطين وشفاء الأمراض وغيرها بكثير،وظل حقدهم يتزايد حتى انتهى الأمر إلى صلب السيد المسيح كما تنبأ عنه أشعياء النبى (سفرإشعياء).

وجاء أيضا في كتاب ميثيولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام أن «اللات» وإن كانت إلهة العرب الكبرى وأم الآلهة... وقد عبدت «اللات» قريش والطائف وجميع العرب يعظمه وموضعه في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم، ويرى الكلبي أنه صخرة مربعة أحدث من مناة وفي رواية ثانية كانت اللات والعزى ومناة في كل واحدة منهن شيطانة تكلمهم ويقول إن «اللات» و»العزى» كن بنات الله في اعتقاد الجاهلي وهن يشفعن إليه.

وقيل إن «العزى» أنها بصورة امرأة وقيل بصورة نخلة، عبدتها قريش وخزاعة وبنو كنانة، وجميع مضر وبنو نصر، وجشم وسعد بن بكر وهم من بطون هوازن. وموضعه حراض وهو واد ويقال له سقام، يقع على يمين المسافر إلى العراق من ناحية مكة، ولعله يحمل دلالة التحريض والدفع على القتال والإحماء إليه، وهو أعظم الأصنام عند قريش كانوا يزورونها ويهدون إليها ويتقربون عندها بالذبح، ويذهب ابن الكلبي إلى أن شيطانة تأتي ثلاث شجرات ببطن نخلة، فهي حبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها.

وجاء في الأثر أن الكاهن الخزاعي عمر بن لحي يتمتع بصفات خارقة، فهو كان له رئي من الجن ياتيه بأخبار الغيب يكنى أبا ثمامة، واستجابت العرب قاطبة تقريبا إلى دعوته في عبادة الأصنام.

و في كتاب ميثلوجيا آلهة العرب قبل الإسلام ذكر ابن الكلبي: كانت بنو مليح من خزاعة وهم رهط طلحة الطلحات، يعبدون الجن، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم.

والساسي الضيفاوي في بحثه(2) عن بيت « ريام « تعبدت لها حمير وموضعها صنعاء، وهو يضاهي البيت الحرام بمكة ويذهب ابن الكلبي في إحدى رواياته إلى صدور الكلام منه للقائمين بعبادته أي يسمعون من أجواف الأوثان همهمة.

وفي عام 530 م قام القديس بيندكت بزيارة « مونت كاسينو» ووجد عريشة ومعبدا ل»أبولو» فهدم الضريح وأنشأ مكانه كنيسة، ويروون أن الشيطان احتج ولكن القديس قابله بالصمت وسمع مرافقو القديس الشيطان ولم يروه.

طول الدهر، يدفع البشر إلى التراخي والغفلة والتهاون في التمسك بالعقيدة إلى حد النسيان، إلى أن تعد العقيدة بعد أجيال وأجيال مجرد أساطير وخرافات لا حقيقة لها.

ـ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)(الأنعام).

كلمة الميثولوجياوتترجم عادة بعلم الأساطير وهي كلمة إغريقية مؤلفة من شطرين معناها الحرفي سرد القصص.

يطلق مصطلح الميثولوجيا على دراسة الأساطير وذلك كفرع من العلوم يهتم بجمع الأساطير ودراستها وتفسيرهاوعلى مجموع الأساطير والقصص لأية ثقافة كانت.

أما الأسطورة فتطلق بالانقليزيةMYTHOLOGYهي سرد قصصي يهدف إلى تفسير شيء ما في الطبيعة أو الكون.وهو أنه يهدف إلى تفسير بعض السلوكات أكانت عادات وتقاليد اجتماعية أو طبائع وأحاسيس ومشاعر إنسانية أو وحشية، وأحيانا كان هدفه المتعة والتفنن وذلك بالتحدث عن شخصية من شخصيات الأساطير أو قصة ما.

وغالبا ما كانت الأساطير مقترنة بأنواع معينة من الطقوس الدينية والعبادات الأساسية للآلهة القديمة والتي كانت الناس تؤمن بوجودها، ورغم أن الأساطير القديمة ينظر إليها حاليا باعتبارهاضربا من الخيال والخرافة فيجب عدم نسيان أن هذه الأساطير كانت تشكل التفسيرات الأولية والبدائية للعالم المحيط والتي منها انطلقت البشرية في وضع التفسيرات اللاحقة لعالمنا المحيط بنا.

(3)يقول الباحث ـ أرثر كورتل: ـ إن الإهتمام الحديث بالأسطورة يشكل اعترافا عاما بقوة هذه القصص الشعرية، ولكن لا يزال هناك عدم اتفاق على مدى قوة الأسطورة. فأفلاطون مثلا والذي كان أول من استخدم كلمة الأسطورة لم يعن في تعريفه أكثر من حكاية القصص والتي توجد فيها عادة شخصيات أسطورية أما أشخاصها الرئيسيون فلم يكونوا آلهة دائما لأن اليونانيين كان لديهم عدد لا يحصى من الأبطال مثل «هرقل» و»جيسون» و»ثيوس» وهم أشهر أبطالهم .. ومغامرات «هرقل» الإنسانية الخارقة لا ترقي إلى حد الألوهية، ويبقى النموذج للانسان الذي لا يقهر، وتقول نظرية أخرى إن الأسطورة مستقاة من الطقوس وهذه النظرية مفتوحة للتساؤلات حتى في تقاليد غرب آسيا الأسطورية التي تعتبر المنبع الأول لهذه الشهادة.

وثمة نظرية ثانية عن أصل الأسطورة تقول بعدم إمكان التفريق بين الأسطورة والفلكلور... ومن ناحية ثانية قد ينظر إلى الأساطير بوصفها قصصا شعبية تمتص جزءا من المعتقدات الدينية، ومن المستغرب أن نرى أسطورة مقدسة لا تحتوي على ملامح من الحياة.

ويرى ـ سيد القمني ـ أن الأسطورة وُلدت في المعابد وصارت جزءًا من بنية الدين فيقول «ويذهب نفر من علماء الميثولوجيا إلى أن أول الأعمال الأدبية الأسطورية ولدت في المعابد وهياكل الآلهة، ويعتقد «روبرتسون سميث»أن الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الديني، لأن التراث المقدَّس كان يتخذ شكلًا قصصيًا يدور حول الآلهة.. بحيث كانت الأسطورة جزءًا من بنية الدين.. لكنها لم تتخذ صفة الإلزام، فخضعت لحرية الإنسان مما جعلها عرضة دائمة للتغيُّر» ويقول فراس السواح أن الأسطورة حكاية مقدَّسة تقليدية تدخل فيها الآلهة أو أنصاف الآلهة، وقد حدثت في الأزمنة الأولى المقدَّسة، فالأسطورة هي عبارة عن سجل لأعمال الآلهة، وهي حكاية تقليدية لأنها تنتقل من جيل إلى جيل شفاهة، فالأسطورة هي ذاكرة الجماعة، ولها قوة وسيطرة على النفوس التي تؤمن بها، وكانت الأسطورة تتلى في الاحتفالات الدينية العامة.

---

2) الساسي محمد الضيفاوي ـ ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام ص 53.

3) أرثر كورتل ـ قاموس أساطير العالم ـ ص7.

«الفن كمنارة للوعي البيئي» :

قراءة تحليلية لورشة «الأشرعة الملونة» ضمن فعاليات مهرجان مدينة الشابة

أريج ذيبي / باحثة في الفنون التشكيلية

يشكل الفن، عبر تاريخ البشرية، مرآة عاكسة تعكس قضايا المجتمع، انشغالاته وتطلعاته. وفي عصرنا الراهن، حيث تتسارع وتيرة التغيرات البيئية وتتصاعد المخاطر التي تهدد كوكبنا، برز الفن كأداة فاعلة للتوعية والحث على التغيير. فقد أثبتت الدراسات أن الفن، بشتى أنواعه، قادر على الوصول إلى العقول والقلوب بطريقة فريدة، وتحفيز الأفراد على اتخاذ مواقف إيجابية تجاه مشاكل البيئة.

في هذا السياق، يأتي مهرجان مدينة الشابة، الذي نظمته جمعية صيانة وتهيئة المدينة بالتعاون مع جمعية الفنون والمحيط، ليشكل نموذجًا بارزًا لدمج الفن بالوعي البيئي. فقد قدم المهرجان، الذي امتد من 22 إلى 25 أوت 2024، مجموعة متنوعة من الورشات الفنية التي استهدفت الأطفال والشباب، أي الجيل الصغير الذي سيحمل على عاتقه مسؤولية الحفاظ على كوكب الأرض، وحفزتهم على التعبير عن رؤيتهم لمستقبل بيئي مستدام.

من بين هذه الورشات، تبرز ورشة الأشرعة التي أدارتها الفنانتان إيمان زرود وأمل ميساوي، وهما باحثتان في الفنون التشكيلية عملتا في إطار هذا المهرجان على تجربة فريدة جمعت بين الإبداع الفني والتوعية البيئية. ضمت ورشة الأشرعة 20 مشاركا ليقوموا برسم لوحات فنية على أقمشة كبيرة تستخدم لاحقًا كأشرعة لخمسة قوارب. وبذلك، لم يقتصر دور الشراع على كونه وسيلة للإبحار، بل أصبح لوحة فنية تحمل في طياتها رسائل بيئية عميقة، فمن خلال الرسم عليها، تمكن الأطفال من التعبير عن رؤيتهم للعالم، وتحويل مخاوفهم حول التلوث البيئي إلى أعمال فنية ملهمة.

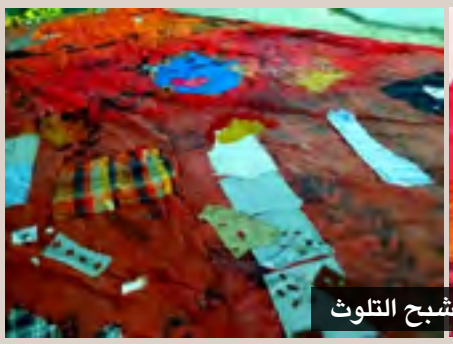

الشراع الأول: شبح التلوث

إذن، لم تكن هذه التجربة مجرد نشاط ترفيهي، بل كانت تجسيدًا توعويا لفن التنصيب الذي يتجاوز حدود المعرض التقليدية، حتى يصل إلى الجمهور في فضاءاتهم العامة . بالتالي يكون فصل الصيف، أنسب وقت تنتصب فيه هذه الأشرعة كأعمال فنية متحركة، تزين القوارب وتنقل رسائل بيئية مهمة. هذا الخروج من رواق المعرض إلى الفضاء العام، ساهم في تقريب الفن من الجمهور، وتحويله من مجرد متلقي إلى مشارك فعال في الحوار البيئي. كما يقول الفنان المعاصر أولافور إلياسون: «فن التنصيب هو ليس مجرد عمل فني، بل هو حدث، هو لحظة، هو تجربة. إنه دعوة للمشاهد للمشاركة في خلق المعنى». وفي هذه الورشة تحديدًا، تجسدت هذه الفكرة من خلال تفاعل المشاركين مع البيئة المحيطة، وتحولهم من مجرد رسامين إلى منشئي عمل فني متكامل يتفاعل مع العناصر الطبيعية مثل الرياح والماء والضوء.

تطرح ورشة الأشرعة تساؤلات جوهرية حول دور الفن في تشكيل الوعي البيئي، وكيف يمكن استغلال الإبداع الفني لتحويل الأفكار إلى أفعال ملموسة. فكيف تطورت رمزية الشراع ضمن هذه الورشة ليتحول من كونه أداة بحرية بحتة إلى رمز ثقافي وفني يعكس التحديات البيئية المعاصرة؟ وما هي الآليات والتقنيات الفنية التي استُخدمت لتحويل الأشرعة إلى أعمال فنية تعزز الوعي البيئي والاجتماعي، وتدفع المجتمع نحو تبني قيم أكثر استدامة وإنسانية؟ وكيف تمكنت أعمال الأشرعة من إشراك الجمهور في تجربة تفاعلية، يتحول فيها المتلقي إلى مشارك فعال في العملية الإبداعية؟

الشراع الثالث : «الرؤية المستدامة بألوان الأمل»

تُعدّ ورشة الأشرعة التي أقيمت ضمن مهرجان مدينة الشابة 2024 تجربة فريدة تجسد تلاقي الفن والبيئة، حيث تحولت قطعة قماش بسيطة من أداة بحرية إلى لوحة فنية تسلط الضوء على مشاكل الإنسان المعاصر والتحديات البيئية التي تواجه كوكبنا. وقد نجحت في ذلك من خلال 5 أعمال فنية نصبت في شكل أشرعة بيئية. نأخذ كمثال الشراع الأول الذي تم فيه اختيار تباينات اللون الأحمر، بين الداكن والفاتح، ليعبر عن مفهوم التلوث البيئي. هذا الاختيار اللوني لم يكن عشوائيا، بل نتاجًا لعملية إبداعية مدروسة لتصوير تأثيرات الاحتراق والنار، مما يرمز إلى الأضرار البيئية الناتجة عن التلوث.

يتناول هذا الشراع، من خلال تركيبة بصرية معقدة، موضوع التلوث البيئي وآثاره المدمرة على كوكب الأرض، وذلك عبر استثمار مجموعة متنوعة من التقنيات الفنية والتعبيرية. حيث تتميز تركيبته البصرية بقدرتها على إيصال رسالة قوية ومؤثرة حول أزمة التلوث. فاستخدام التباين اللوني بين الأحمر الداكن والفاتح يخلق انطباعًا بصريًا يعكس حالة الكوكب المأزومة. كما أن استخدام النار كرمز للتلوث يضفي على العمل انطباعا يوحي بخطورة الوضع.

تلعب التقنيات الفنية المتنوعة المستخدمة في هذا العمل دورًا حاسمًا في تعزيز تأثيره التعبيري. فالسكب والرش والخياطة والقص والتلصيق تخلق سطحًا مركبًا يبرز الطبيعة المعقدة للتلوث وآثاره المتشابكة. كما أن استخدام الأقمشة القديمة يعكس فلسفة إعادة التدوير ويضيف بعدًا آخر إلى العمل، حيث

الشراع الثاني: فجر التحول

يربط بين القضايا البيئية والاجتماعية.

تتميز هذه التركيبة كذلك بقدرتها على إثارة المشاعر والعواطف لدى المتلقي. فالعين الباكية التي تقع في قلب التركيبة تمثل رمزًا قويًا يعبر عن حزن الكوكب ومعاناته. كما أن المشاهد الصغيرة التي تصور الأطفال وهم يقومون بأعمال بيئية إيجابية تخلق شعورًا بالأمل والتفاؤل، وتدعو إلى العمل الجماعي لحماية البيئة.

إذن، يتجاوز هذا العمل الفني دوره كبعد جمالي ليصبح أداة تعليمية فعالة. فهو يساهم في رفع الوعي البيئي لدى الأطفال والشباب، ويشجعهم على اتخاذ إجراءات عملية لحماية البيئة. كما أنه يعزز قيم التعاون والتضامن والمسؤولية الاجتماعية.

في مرحلة أخرى من المشروع، تم تصميم الشراع الثاني تحت عنوان «شراع الأمل الأول: بداية التحول نحو بيئة أفضل». يعكس هذا الشراع تحولاً بيئياً من خلال استخدام تباينات اللون الأخضر التي ترمز إلى الخصوبة والتجدد، ليمثل بذلك بزوغ الأمل في تقليل التلوث من خلال منجز يصور قصة التحول البيئي في مجموعة من المشاهد الرمزية التي تغطي سطح الشراع، والتي تتدرج من القاع إلى القمة، كل مشهد يحمل دلالات ومعانٍ بيئية واجتماعية بأسلوب طريف.

في أسفل الشراع، نجد مشاهد تصور أفعالاً يومية بسيطة للأطفال، كزراعة شجرة وجمع النفايات ووضعها في سلة المهملات. هذه المشاهد البسيطة تحمل في طياتها دلالات عميقة، فهي تعكس الفكرة الأساسية بأن التغيير البيئي يبدأ من الفرد، وأن أفعالاً صغيرة يمكنها أن تحدث تأثيراً كبيراً على البيئة. هذه المشاهد تعمل كنموذج يحتذى به للأطفال، فهي تشجعهم على المشاركة الفعالة في حماية البيئة من خلال أفعالهم اليومية.

في وسط الشراع، يظهر رسم مبتكر للأرض على شكل كائن حي يشعر ويفكر. هذا التصور غير التقليدي للأرض يعزز من فكرة أن الأرض ليست مجرد كوكب جامد، بل هي كائن حي يتفاعل مع الإنسان ويستجيب لأفعاله. إن احتضان الطفل للأرض يعبر عن الرغبة في العناية بها وحمايتها، كما أنه يعكس شعوراً بالمسؤولية تجاه البيئة.

أما في الجزء العلوي، يظهر الحمام الأبيض رمزاً للسلام والنقاء. هذا الرمز يكمل الرسائل البيئية التي تحملها الأجزاء الأخرى، فهو يعبر عن الأمل في مستقبل أفضل للبيئة، حيث يسود السلام والوئام بين الإنسان والطبيعة.

أما لونيا، فيتدرج الأخضر على سطح الشراع، مما يعكس دورة الحياة والتجدد في الطبيعة. هذا التدرج اللوني يعطي شعوراً بالأمل والتفاؤل، فهو يدل على أن الطبيعة قادرة على الشفاء والتجدد إذا ما تم التعامل معها بحكمة وعناية.

عندما ينظر الأطفال إلى الشراع، فإنهم يرون انعكاساً لذواتهم وأحلامهم. فهم يرون أنفسهم وهم يزرعون الأشجار ويجمعون النفايات، وهذا يعزز من شعورهم بالقدرة على إحداث تغيير إيجابي في العالم. هذا الشراع يعكس القيم والمبادئ التي يجب أن يتحلى بها كل فرد من أجل بناء مستقبل مستدام.

الشراعان الرابع والخامس

أما الشراع الثالث في هذه الورشة فيمثل لوحة فنية تعبيرية عُنوِنت ب «الرؤية المستدامة بألوان الأمل». وقد تميزت بتدرجات اللون الأزرق التي تغطي سطحها، والتي تتراوح بين الداكن والفاتح، مما يخلق خلفية رمزية تعكس أبعادًا معقدة.

يعكس اللون الأزرق الداكن في الشراع إحساسًا بالاستقرار والعمق، مما يوفر قاعدة صلبة للرسالة البيئية التي يحملها الشراع. في المقابل، يرمز اللون الأزرق الفاتح إلى النقاء والهدوء، ويعبر عن الأمل في مستقبل أفضل. هذا التداخل بين اللونين الداكن والفاتح يخلق تدرجًا يعكس رحلة الإنسان نحو التجديد والتحول البيئي.

تظهر في وسط الشراع مجموعة من الأطفال وهم يحتضنون كوكب الأرض، مما يبرز العلاقة الوثيقة بين الإنسان والطبيعة. هذا المشهد يرمز إلى المسؤولية المشتركة التي تقع على عاتق جميع الأفراد في حماية كوكبنا. كما أن الكتابة الخطية «الأرض أمانة فالنحافظ عليها» تؤكد على أهمية الحفاظ على البيئة.

كذلك تزين الفراشات بألوانها الزاهية الجزء العلوي من الشراع، مما يضفي على اللوحة أجواءً من الاحتفال والتفاؤل. حيث ترمز الفراشات إلى التحول والتجدد، وهي تمثل الأمل في مستقبل أفضل حيث تزدهر الطبيعة وتستعيد حيويتها.

إذن، تدعو لوحة الشراع الثالث إلى الوعي بأهمية الحفاظ على البيئة، وتؤكد على دور كل فرد في تحقيق هذا الهدف. كما أنها تعبر عن الأمل في مستقبل أفضل حيث تسود العلاقة التكاملية بين الإنسان وبيئته.

أما بالنسبة للشراعات الرابعة والخامسة فتشكل لوحات فنية جماعية غنية بالرمزية والمعاني، تعكس وعيًا بيئيًا متناميًا لدى المجتمع. فمن خلال لوحة ألوان زاهية وأشكال تعبيرية، يدعوان الشراعان إلى تقدير جمال الطبيعة والحفاظ عليها.

الشراع الرابع يصور الطبيعة البرية بألوانها الخلابة، داعيًا إلى الحفاظ على التنوع البيولوجي، من خلال لوحة ألوان زاهية تتراوح بين الأخضر الزمردي والأزرق. كذلك، الرسومات التعبيرية للأشجار والكواكب، إلى جانب العبارات الحازمة التي تدعو إلى حماية البيئة، تشكل لغة بصرية قوية تصل إلى قلوب الناس. بينما يغوص الشراع الخامس في أعماق البحار، ليبرز جمال الحياة البحرية وتنوعها، مع تسليط الضوء على التهديدات التي تواجهها.

يقدم هذا الشراع لوحة فنية بحرية غنية بالرمزية، حيث يهيمن اللون الأحمر النابض بالحياة على اللوحة، معرجًا على تنوع الأشكال البحرية التي تسبح بحرية في أعماق المحيط. ومع ذلك، تتخلل هذه الأشكال بعض العناصر المشوهة التي تشير إلى تهديدات تواجه الحياة البحرية. يذكرنا هذا التناقض بالجمال والدمار بأن الإنسان هو جزء لا يتجزأ من النظام البيئي، وأن أفعاله لها عواقب على الكوكب. يمكن القول إن الشراع الخامس هو دعوة بصرية إلى إعادة التفكير في علاقتنا بالطبيعة، وحث على اتخاذ إجراءات عاجلة لحماية المحيطات والحفاظ على التنوع البيولوجي البحري.

يتداخل في كلا الشراعين الجمال مع القلق البيئي، حيث يصوران الطبيعة في أبهى صورها وفي الوقت نفسه يحذران من التحديات التي تواجهها. إن هذه اللوحات الفنية ليست مجرد أعمال جمالية، بل هي رسائل واضحة تدعو إلى إعادة النظر في علاقتنا بالبيئة، والعمل على حمايتها للأجيال القادمة. من خلال هذا الفن الجماعي، يتم تحويل القضية البيئية إلى قضية مجتمعية تهم الجميع، وتشجع على المشاركة الفعالة في الحفاظ على كوكبنا.

في الختام، يبرز الفن البيئي كأداة بالغة الأهمية في حوارنا المعاصر مع البيئة. تتعدى قيمة الأعمال الفنية البيئية الإطار الجمالي التقليدي لتصل إلى مستوى أعمق من التفاعل والتأثير. من خلال استغلال قوة الإبداع والتعبير الفني، تساهم هذه الأعمال في تشكيل وعي بيئي عميق لدى الأفراد والمجتمعات، وتدفع نحو تبني سلوكيات أكثر استدامة. وتمثل ورشة الأشرعة مثالًا حيًا على هذا التوجه، حيث جمعت بين الإبداع الفني والوعي البيئي بطريقة مبتكرة. لقد أثبتت هذه الورشة أن الفن قادر على تحويل المساحات العامة إلى منصات للتعبير عن القضايا البيئية، وتحفيز الحوار المجتمعي حول أهمية الحفاظ على البيئة. كما سلطت الضوء على دور الفن في بناء جسور التواصل بين الفنانين والجمهور والبيئة الطبيعية.

علاوة على ذلك، أثبتت الورشة أن الفن ليس مجرد ترف، بل هو أداة قوية لبناء مستقبل أفضل. من خلال دمج الإبداع الفني بالوعي البيئي، تمكنت هذه الورشة من خلق حوار مجتمعي حول قضايا ملحة تواجه كوكبنا. إن هذا النموذج الناجح يفتح آفاقًا جديدة للتعاون بين الفنانين ومختلف القطاعات، ويعزز دور الفن في حل التحديات البيئية، مما يساهم في بناء مجتمعات أكثر وعيًا ومستقبل مستدام للأجيال القادمة. فكيف يمكن أن تسهم مثل هذه المهرجانات في تعزيز التعاون بين المؤسسات الحكومية والمدنية في مجال الحفاظ على البيئة وفي بناء مجتمع فني بيئي تفاعلي؟

منتوج ورشة الأشرعة : 5 أشرعة بيئية

الذاكرة في الفنون التشكيلية... مراوحة بين التذكر الخلاق والتجاوز الواعي

ايمان بن ناجم

يحاول الباحث في الفنون التّشكيليّة أن يجد مفاتيح ذلك التفاعل بين الفنّان التشكيلي والمرجع الذي استوحي منه ذلك الفنّان عمله. ونقصد بالتّفاعل تلك التّجاذبات الفكريّة والانفعالات النّفسيّة التّي يعيشها الفنّان إثر قراءته لعمل فنيّ. فإعادة الصّياغة لا تكون معنيّة بالقواعد ولا بالتنظيمات وإنما تكون مبنيّة أساسا على علاقة أخذ وردّ بين الفنّان التّشكيلي والعمل الفنّي. و من شأن هذا التّفاعل أن يقود إلى إعادة صياغة فريدة وذلك يشبه عمليّة اكتشاف جديدة. إذ يسير الفنان التّشكيليّ وهو يكتشف في طريق لا تخلو من صعوبات واستكشافات نحو صياغة جديدة. فيكون إزاء تجارب فنّية واعية أو حدسيّة تقوده نحو الاكتشاف والابتكار انطلاقا من أعمال تشكيليّة سابقة.

هذا التّفاعل بين الفنّان والأعمال سواء أكانت رسومات أو منحوتات أو غير ذلك من الأشكال الفنيّة، تجعله يفكّر في عمليّة انتاج جديدة، لا نستطيع القول إزاءها، إنّها مبنيّة على رؤى مستلهمة من العمل الأصلي، ولكنّ يمكن القول إنّها تستند إلى علاقة بذلك العمل من حيث المنطلق. ذلك أنّ الفنّان التّشكيليّ في تحليله لأعمال سابقة وقراءته لها يعيش ذلك الحوار الدّاخلي بينه وبين العمل الفنّي ممّا ينشئ ضربا من التفاعل(Interaction)، والتجاذب بين الفنّ والفنّان.

من هنا تنطلق عمليّة إعادة الصّياغة التّي تقود الفنّان إلى توليد أفكار جديدة مستلهمة من العمل الفنّي الأصلي، تحمل أبعادا جماليّة وتعبيريّة جديدة بتقنيات مختلفة وبذلك يعيش الفنّان محاولة بحث عن مداخل تشكيليّة تستجيب لرؤاه الفكريّة، فيمكن أن يحاكي الموضوع من خلال مظهريّة الشّكل المنقول؛ ولكنّه يكون قد اكتسب في الواقع دلالات فنيّة جديدة، فيعبّر عنها بصياغة جديدة فيها مرونة كبيرة تمكّنه من خلق تفاعل فكريّ وحسيّ بينه وبين العمل الفنّي.

إنّ إعادة الصّياغة تمكّن من إتاحة الفرصة للتّأمّل في أعمال فنيّة سابقة، لا فقط لمعرفة ما تحمله من قيم فنّيّة وتعبيريّة ، وإنّما لخلق تفاعلات جديدة تؤدّي إلى صياغات تشكيليّة أكثر انفتاحا على سابقيها. فعندما أعاد «بابلو بيكاسّو» سنة 1955، صياغة لوحة « نساء الجزائر»1834 «Les femmes d'Alger»وهي عبارة سلسلة من خمسة عشر لوحة مرقّمة من حرفA إلى حرف O، أراد من أن يحرّر المرأة من النّظرة الاستشراقيّة التي تأسر نظرة الغرب إليها.

وهنا يمكن أن تطرح إعادة الصّياغة استمراريّة العمل التّشكيلي وتناوله من رؤى مختلفة رغم تباعدالأزمنة.

على هذا الشكل من إعادة صياغة الأعمال الفنية يسعى البحث إلى أن يجيب على السؤال المركزيّ التالي:

هل يمكن اعتبار إعادة صياغة عمل فنّي مجرّدَ استلهام لأفكار وتقنيّات، أم هي خلق تفاعلات وفتح علاقات، ذات رؤى وتجاذبات فكريّة جماليّة انطلاقا من العمل الأصل أو صورة من الذّاكرة؟

إنّ إعادة الصّياغة هي مرحلة من مراحل التفكير

المبدع عند الفنان يترتب عليها استلهام لهذه الفكرة عن طريق الاندماج في العمل بمزيد من الاهتمام والاستغراق والبحث والاكتشاف والمعرفة، ولتغير وجهة النظر والتفكير الأصيل المرن الذي يمكّن الفنان من رؤية الأمور بطريقة مبتكرة، «فعملية الاستلهام في الفن تعد ضرباً من ضروب النشاط الخيالي والتصور، هي عملية تأخذ مساراً نحوالابتكار والإبداع وهي فوق ذلك تتجه نحو إنتاج الفن لتحدد له الشكل والمضمون « ، من هنا كان أسلوب إعادة الصياغة هو أسلوب يشتمل في مجمله على مختلف المفاهيم السابقة التي تتفق معه في الفكرة وقد تختلف في طريقة تناولها.

ولكلّ فنان أسلوبه ومنهجه الخاص في التعبير عن موضوعاته، حيث يرتبط الفن بفلسفة الفنان ووجهة نظره التي تترجم الكون المحيط به، فالفنان دائم البحث عن الحقيقة الكامنة خلف الأشياء للكشف عن الجوهر الحقيقي لها، لذلك فهو يعبّر عن شخصيته وفكره ووجدانه وفلسفته إبان أي عمل فني ينتجه، من هنا جاءت فكرة إعادة صياغة الأعمال الفنية لما تحمله تلك الأعمال من فكر وفلسفة.

رغم نموّ التّجارب والمفاهيم التّشكيليّة الغربيّة في أعماق الفنّانين التّشكيليّين العرب وانبهارهم بثقافة الغرب، إلاّ أنّ وعيهم بأنّ هذه التّجارب الغربيّة قد طغى عليها اهتمامهم بالجانب المادّي على الجانب

الإنساني، فحاول الفنّان التّشكيليّ العربي بكلّ أساليبه أن يعبّر على انتمائه وأفكاره وقضاياه العربيّة في أعماله التّشكيليّة، ويتقدّم فيها مبرزا هويّته وشخصيّته وتراثه العربيّ. فكانت أدوارهم مهمّة في بناء الحركة التّشكيليّة المعاصرة، ومن أهمّ القضايا المطروحة، التّعبير عن قضايا الحياة المعاصرة، مثل الهجرة والعولمة والحرب بأساليب وتقنيات متجدّدة ممّا تجعله مجالا مثيرا للاهتمام. فصارت تجاربهم مرآة لتطوّر المجتمعات العربيّة، ورؤية حضاريّة لما تعيشه هذه المجتمعات من تحوّلات فكريّة، سياسيّة واجتماعيّة، هذه التّحوّلات التّي تعزّز لمكانة الرّؤية الجماليّة وأهمّيتها في تغيير المجتمعات والتّأثير على الثّقافات والأذواق البصريّة.

فالتّجارب التّشكيليّة المعاصرة، هي تجارب لا تنفصل عن المكان والزّمان وقضاياه المتقاطعة والمتراكبة، فالمكان في تلك الفترة أصبح مشغولا بالفنّ ويتطلّع إليه، واجتماع الفنون حول قضايا العصر مهمّ تبليغها على الوجه الأكمل، وهنا يعبّر كاندنسكي عن اسقاط الجدران بين الفنون: «فالزّمان كان مشغولا بحلم، ولم تكن التّجارب الفنيّة إلاّ سعيا ومشيا نحو هذا الأفق الحالم، الذّي يشكّل الخيط السرّي المنظّم لهذه التّجارب حتّى صبّت في بؤرة واحدة لوضع أبجديّة الفنّ، هو الفنّ الكلّي».

لم يعد الفنّ التّشكيليّ التّونسي ذلك النّتاج البصري السّطحي البسيط الذّي لا يتعدّى حدود ابهار وشدّ المشاهد بالتّقنيّات المبهرة، وانّما اجتهد وعمل على تطوير مدركاته البصريّة من خلال مفاهيم وقضايا فكريّة، لأنّ المشاهد بدورة أصبح متعطّشا إلى تقصّي الحقائق الجماليّة ببصيرته، نراه متنقّلا من معرض إلى آخر باحثا عن أسرار المعنى الإبداعي في التّجارب التّشكيليّة التّونسيّة الحديثة.

وفي هذا الجزء التّحليلي من البحث، نحاول إبراز جوانب مهمّة من تجربة الرسّام علي الزنايدي، تجربة تشكيليّة من التّجارب التّونسيّة المعاصرة التّي فرضت وجودها منذ السّبعينات إلى يومنا هذا، أعماله تتوالد في الزمن والفكرلنحاول فهم أبعادها الفكريّة والتّشكيليّة، ونوضّح هذا التّوجه في معالجة شخوصه، المتأرجحة بين واقع تحملنا إليه حنين الذّاكرة وبين خيال يجعلها تتراقص أمامنا.

تعيش اللّوحة عند الرسّام علي الزنايدي نوعا من الإيقاع والتّناغم أحيانا وحلّة من التنافر والتّباعد أحيانا أخرى، من خلال الحركة التّي تحدثها التّباينات في الألوان ، ثمّ الملء والفراغ، الشخوص والخلفيّة، هذه الأجسام المتكتّلة، المتّحدة فيما بينها، لتهيمن على بنية الفضاء، وتتّحد فيما بينها رغم تضادّها.

فأعماله التشكيلية يستلهم تفاصيلها وجزئيات شخوصه من منحوتات الذّاكرة، يعيد صياغتها حسب المسافة التي تفصله عنها، وإعادة الصّياغة لا تتوقّف هنا عند الاقتباس والأخذ من أعمال سابقة في الزّمن، وإنّما تذهب إلى استحضار صور الذّاكرة، ذلك الفضاء الممتدّ في الزّمان والمكان، فيحوّلها الرسّام إلى خامّة ابداعيّة يراوح فيها بين التّشخيص والتّجريد بطريقة ذاتيّة معتمدا نفسا حكائيا، بإضفاء مسحة واقعيّة،

فيعمّق صلتنا بصور اعتقدنا أنّها غابت أو كادت تغيب عن واقعنا.

شخوص لوحاته لا تمثّل فقط عالما حكائيّا متنوّعا، وإنّما مسرحا حقيقيّا للذّاكرة فنستحضر شخصيّة «الفطايري» (2012)، «DEUX SŒURS AU BAIN MAURE» (2015) « (2013 «LE MARCHAND DE PASTÈQUES»)

شخصيّات كان قد عرفها الرسّام شخصيّا، ولكنّها لصيقة بذاكرتنا الجماعيّة فمن منّا لا يتذكّر مشاهد «الحمّام» ووجوه الباعة في الأزقّة، مشاهد عالقة بداخلنا نقلها الرسّام إلى عالمه ليعود بنا إلى زمن جميل مدغدغا حواسّنا، «فالمبدع الحقيقيّ هو ذلك الذّي يستمدّ مكوّنات أعماله من التّراث، أي ذلك الذّي يكشف الجانب الفني فيهّ ويهتمّ بعمق الثّقافة المحليّة وأصالتها، ويحاول تحليل عناصرها والاستفادة منها لتقديم الابداع الفنّي»(2)

والرسّام هنا يحيلنا إلى ذاكرة ثريّة برموزها ودلالاتها، فرديّة كانت أم جماعيّة. يسعى إلى إعادة صياغتها برؤية فنيّة جديدة تحمل فكرة مشحونة بحسّ فنيّ، وخيال سابح مماّ يجعل أشكاله في حركة متواصلة، تدفعها انسيابيّة لونيّة كثيفة فتعطي فرصة لقراءات بصريّة مختلفة الدّلالات والمعاني.

لقد أنتج الرسّام التّونسي علي الزّنايدي لوحات تشكيليّة متميّزة ، استند في انجازها إلى مرجعيّات تاريخيّة مستمدّة من الموروث التّونسي، ومن الذّاكرة الجماعيّة وفق حكايات أخفت بين طيّاتها مدلولات بصريّة ورمزيّة، عالجها الرسّام على فضاءات لوحاته بطريقته الخاصّة.

ومساءلة الرسّام للذّاكرة لا يعدّ مجرّد تمثّل لزمن مضى، بل يندرج ضمن صياغة ابداعيّة لمضامينه ورموزه الإيحائيّة فاعتماد الذّاكرة يتخطّى كلّ صور الماضي النّمطيّة ليصبح تمشّي حركي بالأساس (فلوحات علي الزنايدي تؤكّد على الذّاكرة، كتوجّه أساسي لدى UN PROCESSUS DYNAMIQUE) العديد من الرسّامين الذّين طوّعوا أدواتهم ومفرداتهم التّشكيليّة والبصريّة لصالح الفنّ الحديث والمعاصر،

فتبدو دلالات المكان والزّمان برموزها وأبعادها واضحة في لوحاتهم.

«إنّ المبدع لا يلجأ إلى قواعد التّراث وتقاليده وتقنياته كغاية في حدّ ذاتها، وإنّما يلتقط من هذه التّقاليد بقدر ما يستوعبه ليعيد تنظيمه وترتيبه ودمجه على نحو مغاير في ضوء الأسلوب أو الطّراز الفنّي المميّز للفنّان ليخرج في النّهاية المنتج الفنّي الأصيل بعيدا عن التّقليد».(3)

اعتمد العديد من التّقنيات، أهمّها الالصاق والتّقسيم المساحي للفضاء، ثمّ كثيرا ما تراوحت ألوانه بين الشّفّافة والكثيفة، ليحقّق تناغما لونيّا ملمسيّا. فتصبح لوحاته خليطا من الرّسوم الخطيّة والصّبغات الطّبيعيّة وأوراق الجرائد التّي أراد من خلالها الرسّام أن يخلق علاقات إيهامية إيحائيّة بين عناصر اللّوحة، والبحث عن معادلات تشكيليّة يحاكي من خلالها بعض الخصائص اللّمسيّة والبصريّة، فتضفي صفة الواقعيّة.

ينطلق الرسّام بتوزيع ألوانه على المحمل بحريّة وتلقائيّة قد تبدأ شخصيّاته بالظّهور من خلال تحكّم واضح في أفعال القصّ والالصاق والرّسم، بما يساعد على انتاج صياغة تشكيليّة وماديّة جديدة تضمن المضمون الحكائي والتّراثي. فقد راهن الرسّام في تشكيل لوحاته على استمرار الفعل في ربط وإعادة صياغة للحاضر من خلال صور الماضي،صور شخوص رسمها ليعيش لحظة لقائه معها ،ساعدته المادّة السخيّة لتنبعث منهاملامح مشحونة، سخيّة المعاني، عمل علي الزنايدي على اظهارها وتطويعها لتكون قريبة منّا، ربّما هي شخوص قد نلتقي بها في رحلة التذكّر ونتعرف عليها.

هي شخصيّات ترفل بالمعاني، تأتي في نظام يراوح بين فعلي القصّ والرّسم لتملأ الفراغ متزاحمة، متراكبة أحيانا، تفتكّ مكانها، يتابعها المشاهد ويحاول التعرّف على ملامحها، وتتبّع قصصها علّه التقى بها في واقعه، ثمّ تكرار نفس الشّخوص والأماكن (كالحمّام مثلا) للتّأكيد على أهميّتها في فعل التذكّر في لوحات أخرى مصحوبة بأفراد أو مجموعات، هو دليل على التّمشّي الذّي اتّبعه الرسّام للمتابعة وشدّ الانتباه، فيسكننا شغف الانتظار، انتظار أماكن وشخوص جديدة في رحلة الذّاكرة ، هي الحقيقة الانشائيّة تجلّت فيها لذّة الحركة والتّوليد الشّكلي وتحرير الألوان وتناغمها، التّي تحيلنا إلى تتالي القصص وتكرارها، من خلال توالد الشّخوص بظهورها وغيابها بين التشخيصيّ والتجريديّ، الظّاهر والخفيّ، فيتواصل البصر ممتدّا في الزّمن متتبّعا ملامح الوجوه وحركات الأجساد خاصّة النّسائيّة التي دقّق الرسّام في تتبّع حركاتها.

هذه التّباينات هي بمثابة المثير الذّي ساعد المشاهد في تتبّع شخصيّات اللّوحة وأماكن وجودها وكأنّه في جولة بين أنهج وأزقّة المدن العتيقة التي تعبق برائحة الزّمن الجميل. هكذا أراد الرسّام التّونسي علي الزنايدي أن يأخذ من الحيّز المكاني والزّماني إطارا لحركة الضّوء والظّل، فجعل من المشاهد يجوب أزقّة المكان باحثا عن الفرح المختبئ في نظرات بائع الغلال، أو امرأة أحاط الكحل عينيها فساعد في ابراز تفاصيلها، وكأنّ الرسّام برسمه لشخصيّات عالمه يلتقي بها من جديد، فتبدو مألوفة لديه وكأنّه عاش معها وولد مكان وجودها.

أقام الرسّام معارض عديدة منذ سنوات داخل البلاد وخارجها لدرجة أنّ شخصيّاته باتت مألوفة يتعرّف عليها المشاهد بسهولة، إذ يصاحبها أينما ذهب، فخلنا أنّ ما يربطه بها هي علاقة قرابة أو صداقة، لا يفوّت فرصة إلاّ وحدّثنا عن تفاصيل لقائه بها.

أذكر أنّني كنتمند سنتين في زيارة لأحد معارضه صحبة أبنائي التلاميذ من ولاية سليانة، فكان يقصّ عليهم تفاصيل كلّ لقاء مع كلّ شخصيّة رسمها، أكثر ما شدّ انتباهي طريقته في وصف تفاصيل الشخصيّة، يتحدّث عن أبطال لوحاته بدقّة وحبّ كبيرين.كم أحبّته المجموعة وأعجبت بحفاوة اللّقاء، فزيارة لوحاته كانت بالنّسبة لبعضهم زيارة افتراضيّة لزمن الآباء والأجداد، زمن التّقاليد والزّخارف فتذكّر بعضهم صورة الجدّة وأخذه الحنين إليها من خلال لوحته: « (LA FEMME DE GHARDIMAOU 2003) .

إنّ الرسّام يعيد صياغة صوره من مواقفه ورحلته بين محطّات الذّاكرة، فمثّلت عالما حيّا تمكّنت الأجيال من عبوره وكشف تفاصيه، فبدون ذاكرة لا وجود لثقافة، فالذّاكرة هي فعل اجتماعيّ يستدعي مجموعة من الرّموز تكون محورها الصّورة، تمتدّ جذورها وتتوغّل في الماضي لتتواصل إلى الحاضر فتثري التّعبير الثّقافي للإنسان وتكتسح ساحة التّوثيق. والصّورة في لوحات علي الزنايدي تتحوّل إلى متحرّكة وكأنّنا بالوقوف عندها نشاهد شريطا سينمائيّا. وعلاقة الصّورة بالذّاكرة والتّوثيق من المباحث التّي تحظى باهتمام التّجارب التّشكيليّة المعاصرة.

الشّخوص والأماكن القديمة، عبقها وتأثيرها يكمن في تفاصيلها الزّخرفيّة، معانيها تداعب الذّاكرة، ولكنّها سرعان ما تعجّل بنبشها في عمليّة بحث متواصلة لتحيي أمكنة ربّما تكون مازالت موجودة في الواقع، أو غيّر الزّمن ملامحها. هذه هي لوحات علي الزنايدي، تداعب الذّاكرة فتثير المشاهد لينطلق في رحلة تجوال بين أزقّة المكان، ليصل أخيرا إلى شخوصها فيرى فيها أجداده وماضيه، ليعتقد أنّه في متحف قد ضمّ الموروث الثّقافي للبلاد.

القديم يشدّنا ويبهرنا بجمال ما تخزّنه الذّاكرة، فتحفّز الخيال فتجعلنا نفكّ العلامات ونبحث عن دلالاتها في الزّمن، فنتعمّق في الفهم والبحث والتّأويل. أبصارنا تقبض على لحظات من الزّمن فتتواصل المشاهد بتفاصيلها الجميلة. متعة بصريّة تأثيريّة تعود بالمشاهد إلى زمن جميل لطالما كان يسمع عنه، والمتأمّل في اللّوحة ينسجم بين رسومها الخطيّة وأبعادها الضّوئيّة. الوجوه وملامحها تفصح عن طرق عيش أصحابها، الملابس وزخارفها والوشم والزّينة تحمل المشاهد داخل الأطر فيتعلّق بالمكان والزّمان، وترسخ الشّخصيّات بذهنه لتصبح لا فقط أنيسة الرسّام وصديقة عالم، بل هي أيضا جزء لا يتجزّأ من ذاكرة المشاهد.

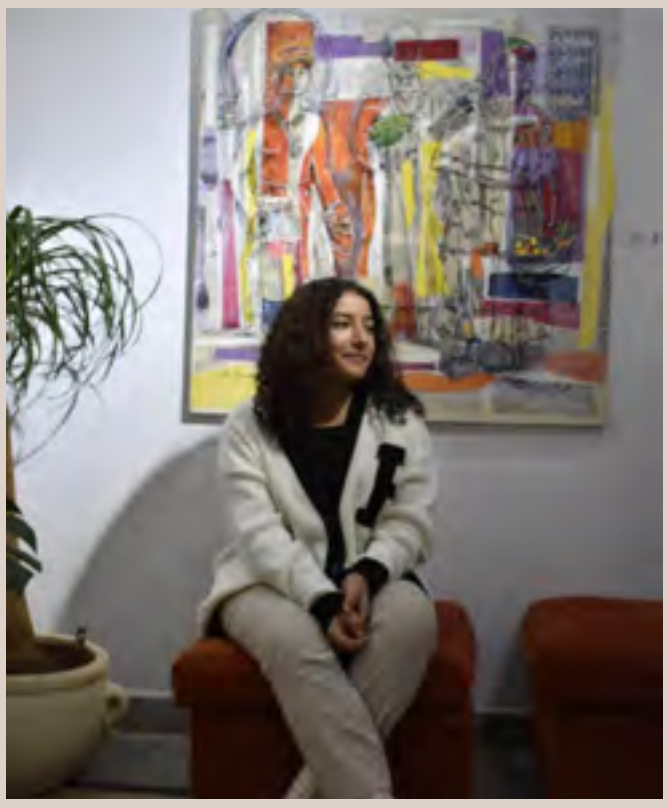

الهوامش:

-1 السيّد(عبد اللّه)، التّجريب وديموقراطيّة التّشكيل، نشر في مجلّة جامعة دمشق، العدد الثّاني، ص، 235، 238

-2 أمين القريطي، مفهوم الأصالة بين التّجريد والتّقليد في محتوى الابداع الفنّي التّشكيلي، بحث منشور مجلّة دراسات وبحوث، جامعة حلوان، 2 مارس 1984، ص،84

-3 محمد بن مفتاح: (فنّان تشكيلي تونسي)، احياء ملحمة البعث الآدميّة، 9 جانفي 2019

فضاء الإبداع

شعر

أعرف جيدا أيها الزمن

فتحي مهذب

أعرف جيدا أيها الزمن
دبيبك تحت جلدي المغضن
آثار محراثك اليدوي
على أسارير وجهي
إستدراجك عيني الجميلتين إلى العتمة الأبدية
نهش عظامي مثل كلب البولدوغ
كلماتك الساخرة
على وجوه المارة
ضحكتك المريبة في الباص
نباحك الليلي في بستان الأرمل
أيها الزومبي الذي مزق ألبوم العائلة
شرد طفولتي البائسة
دهس الكثير من أصدقائي
بعربة الصيرورة
طارد أشجارا تمتح الضوء من شراييني
هكذا أيها الزمن
لم تزل تركل السكارى في الكازينو
تغرز نابك في نهد الغرسونة
تكتب على الحائط المتداعي
إنتظروني هنا
ريثما أجلب التوابيت للشعراء
هدايا نادرة للمسنين
أعرفك جيدا جيدا
سيارتك الليموزين
التي تجوب بها الشوارع
تفتح النار بدم بارد
على عابري السبيل
ثم تختفي وراء اللامكان
مخلفا طابورا من القتلى
والبيوت المهدمة
أيها الزمن
أيها الدراقولا الملطخ بدم الضحايا
أعرف ذئابك القرمة
التي تعوي داخل ثياب العجوز
أعرف جوهرك المقدود من الزئبق
طريقتك القذرة في قنص المحسوسات
مؤامرتك التي تحبك في المقابر
والأماكن الموحشة
المقابر الجماعية التي حفرتها بأسنانك الصدئة
قنابل الدمار الشامل
التي تصنعها في رؤوس الجبال
رغم طعناتك المكرورة
طلقات مسدسك الكاتم للصوت
سأظل محصنا بسحر الكلمات
بمحبة أبدية لروح الموسيقى
وإشراقات النحت.

همس المطر

عبد الدايم عمري

الكونُ خاصمه الضِّيَا
و الليل أظلم واعْتَكَرْ
...
و النجم أخفته الغيوم
فغاب و احتجب القمرْ
...
و الكون يغرق في سكونْ
و الصمت مرسال النُّذُرْ
...
فكأنه صوت الوعيد
أتى يلوّح بالخطرْ
...
و يجيء همسُ الهَامِياتِ
على السطوح على الشجرْ
...
يوحي بأنك طفلها
في حضنها ليلَ السَّهَرْ
...
مثل الغناء نحسه
عذبَ المُنى حُلْوَ الأثرْ
...
كالشَّدْوِ كالتَّطْرِيبِ
كالإيقاعِ إيقاعُ المَطَرْ
...
فيذوب إحساس الضنا
في مائها العذبِ العَطِرْ
...
و يزول مُتَّصِلُ العناءِ
فلا تَوَجُّسَ لا حَذَرْ
...
يا رحمة القَدَرِ المُذابِ
جداولا في كلّ بَرّْ
...
الحمد حتى يبلغ الحمد
المدى مَدَّ البَصَرْ
...
أو بعد ذلك حينما
يصل المدى للمُستَقَرّْ

بين الفناء والعدم

آية الخماسي

تتراقص الحانة على وقع طقطقة كعبها
يسكر النديم قبيل السكرة
يشتمّ الخمرة
يتذوّقها
تنزلق العبرة في الكأس عمدا
تنصهر..
تذوب ..
بين الفناء و العدم
يتلذّذها
يدور الكأس بعنف دلّها
و يهتزّ..
ترتجّ الطاولة بإعصار عطرها
فيسقط
حانيا ..ذاهلا
إلى أخمص قدميها
يتهشّم ..
و يبعث
الى فتات..
بالكاد يرى ..
إلا أثر أحمر الشفاه ..
مغتربا بحثا عن جبينك
تختمر الصورة في ذهني
تنضج..تعتّق
أكثر ..فأكثر
ليشتدّ النحيب ..
و أنتشي بك
حدّ الثمالة

أنت

توفيق حيوني

أنت على شفاه العشاق ،
الذين أدركوا خط النهاية والجنون ..
إلهام و نقاء .

على دفاتر الشعراء .
اختلي بك بين أزقة السطور ،
على أسطح المفردات
وعتمة الأرجاء
ووحشة الصدى.

ما أكتبه لك .....
سراج وهاج .....
ينير قوافي و دفاتر ليالي.

أنت لي .....
أنت لي بكل نوبات جنونك الطفولي
و سحرك الذي لا يزول ...

و لكن ....تمهلي ....

أنت ... وعلى الرغم من لغو اللغة
تاء التأنيث على عرشك ....
نون النسوة .... فتحة ذراعين،
كسرة عاشق،
ضمّة مرفوعة ،
ألف نداء مستحيل ....
في جملة ....
في كتاب على الرصيف
وأفعال ....
لا تصرف في بورصة الأموال.

أخطاء

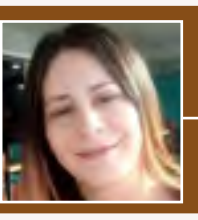

أسماء الفحيل

تتلون أخطائي
و في الجيب رسالة اعتذار
لم تنجُ من حرب الغسيل
دمع مالح خطه الندم
و شفاه رقيقة
تلاشت نسختها الأولى
على سطح ورقي هش.. لا ادري اعتذر للخطأ
أم لضياع العذر مني ....

سأعتزل كل شيء قريبا

وليد عبد الحميد العياري

سأعتزل الشعر والعشق...
قريبا
سأعتزل الكتابة وسأصبح عازفا على الربابة...
سأمتهن رعاية الغنم والسباكة...
سأجلس وحيدا طويلا وسألتزم الصمت...
لم تعد تستهويني قراءة الجرائد ولا أخبار أهل الحي..
لم تعد تعلمني أمي كالعادة بالمآتم والجنازات...
هجرني خلاني وأصدقاء طفولتي...
لأنني في نظرهم أصبحت شاعرا مشهورا قليلا
الشعر لديهم الجنون بعينه وتفاهات....
قريبا سأعلن جفافا في عيناي
فقد ماتت دموعي من كثرة الشجن والبكاء...
سأعتزل الشعر والنثر وسأهجر الشاي والقهوة...
لم تعد تستهويني مشاهدة أفلام الكوبوي والأكشن...
ولا أفلام هندية ولا مسلسلات مكسيكية
وجدت أوراقا صفراء عليها خربشاتي القديمة
ضحكت لمراهقتي....كم ظننت نفسي دون جوان...
سأعتزل الرقص و ربما أفكر في مصالحة مع النفس..
سأعتزل الرسم وسأمحو من ذاكرتي كل المشاهد الحزينة..
سأعتزل الشعر والعشق قريبا....
سأحطم كل ربوة أو طلل وقفت عليه
بالحجارة سأبني قريباً بيتا وسيكون شققه من أغصان الشجر..
سأهجر المقاهي والمكتبات وربما يخطر ببالي تمزيق كل الكتب...
قريبا سأرحل إلى جزيرة خالية من البشر...
وسأعمرها برسامين ونحاتين ....
كرهت الشعراء والأدباء والرواة والنقاد.....